إشكاليات تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية العربية الدراسات المصرية نموذجا	د. محمد شومان أستاذ مساعد بقسم الإعلام كلية البنات - جامعة عين شمس

مقـــدمـــة :

ارتبطت نشأة وتطور بحوث ودراسات الإعلام في العشـــرينات من القرن الماضي بالنموذجين الوضعي والسلوكي positivist and behaviourist paradigm، فقد استمد التخصص الجديد الكثير مـــن منطلقاته ومفاهيمه وأطره النظرية والمنهجية من هذين النموذجين ، فـــي هذا الإطار ركزت بحوث الإعلام - وما تزال - علـــي تـــأثير وســـائل الإعلام في الجمهور اعتماداً علي ما يعرف بدراسات الجمهور ، وأهملت إلى حد كبير دراسة مضمون وشكل الرسالة الإعلامية التي يفترض أنهـــا تحدث التأثير المطلوب أو المرغوب من وجهة نظر المرســـل أو القـــائم بالاتصال سواءً كان شخصاً أو مؤسسة إعلامية .

وحتى عندما التفت الباحثون لأهمية دراســـة شـــكل ومضمـــون الرسالة الإعلامية لم تعرف الدراسات الإعلامية سوي التحليـــل الكمـــي لمضمون أو محتوى الرسالة الإعلامية ، والذي ذاع صيته بفضل مقـــال بريلسون Berelson الشهير ، والذي نشره عام ١٩٥٢ بعنوان التحليل الكمي للمحتوي في أبحاث الاتصال . واستناداً إلى مســـاهمات بريلســـون وآخرون سادت تقاليد التحليل الكمي الدراسات الإعلاميـــة ، وأصبحـــت جزءاً من التقاليد البحثية في حقل الدراسات الإعلامية ، بينما اختفـــت أو غيبت الدراسات الكيفية واتسمت بالتحيز والبعد عن الموضوعية ، ويرصد

تومبكنس استمرار هذه الظاهرة في أقسام وكليات الإعلام الأمريكية والمجلات العلمية حيث قام بتحليل ملخصات البحوث المنشورة في المجلات الإعلامية الأمريكية في الفترة من ١٩٨٨-١٩٩٤ ووجد ستة بحوث فقط استخدمت مناهج بحوث كيفية ،وفسر تومبكنس ذلك في ضوء عاملين هما الاعتقاد السائد بين الباحثين بأن المجلات العلمية لا تنشر البحوث الكيفية ، بالإضافة إلى نقص التدريب على تحليل المضمون الكيفي (Tompkins, 1994 , PP 44-50)

لكن يمكن إضافة عامل ثالث لتحليل تومبكنس يتمثل في قلة الاهتمام بدراسة مضامين الرسائل الإعلامية والذي ارتبط بنشأة تخصص الإعلام في إطار الوضعية والسلوكية ، من هنا يذكر لنجر عام ١٩٩٨ أن الرسائل في النصوص الإعلامية لم تحظ فعليا بالاهتمام الأول في مجال بحوث الإعلام خلال الخمس عشرة إلى العشرين سنة الأخيرة ، وظهرت كثير من البحوث في التسعينات تركز على عمليات إنتاج واستقبال الأفراد أو المجموعات للرسائل الإعلامية ، وذلك رغم أن الأفراد المتلقين يفسرون النصوص الإعلامية وفقاً لحياتهم الشخصية وخبراتهم وتجاربهم الذاتية إلا أن للنص ذاته تأثير حاسم على تفسيراتهم .

(Langer,1998)

على أن سيادة وهيمنة مناهج وأدوات التحليل الكمي لم تمنع من ظهور كثير من الانتقادات التى انصبت على شكلية وعدم موضوعية فئات تحليل المضمون الكمي التي تدعي بدون أساس علمي الدقة والموضوعية ،و تنزع إلى تفتيت النص ،وتحويله إلى مجرد أرقام

وبيانات إحصائية لا تكشف عن معني النص أو المعاني التي يحملها ، إن التحليل الكمي عكس التحليل الكيفي يهمل سياق النص وعلاقات القـــوي داخله ،ومنظور الفاعل ، فضلاً عن عدم الاكتراث بالمعاني الضمنيـــة أو غير الظاهرة في النص (**عبد الرحمن وآخرون** , ١٩٨٣) من هنا بدأت تظهر- وعلي استحياء- محاولات لاستخدام مناهج وأدوات للتحليل الكيفي في دراسة النصوص الإعلامية، وقد اتسمت في البداية بـــالتردد والخلـــط وعدم الوضوح أو التكامل المنهجي والإجرائي ، لكنها شكلت نوعاً مـــن المواجهة والتحدي للتقاليد السائدة في مجال الدراسات الإعلامية.

(Curtin, 1996)

وفي مطلع السبعينيات من القرن الماضي اتجه عدد من البـــاحثين الاسكندنافيين في مجال الإعلام إلى تـــأييد واســـتخدام التحليـــل الكيفـــي للمحتوي من منظور أيديولوجي ،وعرف هذا التوجه بالاتجـــاه الإنســـاني humanistic trend والذي ركز علي علاقات القوة التـــي تحـــاول النصوص الإعلامية التعبير عنها ، كما سعي لتطويـــر أدوات التحليـــل الكيفي مستفيداً من التطور الذي تحقق في مجـــال الدراســـات اللغويـــة والسميولوجية(العلاماتية)، وتحليل النص ، وكان من أبرز ممثلي هـــذا الاتجاه الباحث الدانماركي بيتر لارسن Beter Larsen ، والذي أكد أن التحليل الكيفي ليس غاية في حد ذاته ، ووفقا لمايرينج Mayring فـــإن التحليل الكيفي للمحتوي يقوم علي الفحص الدقيق لمصادر المادة المزمع تحليلها ، وعلى الملاحظة الصريحة والفهم الذاتي للذين يقومون بالتحليل ، مع الاهتمام أيضا بوجهات نظر الآخرين ، بالاضافة الي تقبـــل نتـــائج إعادة التفسير ،وتعتبر المصطلحات السميولوجية والنظريـــة البراجماتيـــة

للمعنى وقواعد التفسير علي أساس التحليل البنيـوي للنـص مـن أدوات عملية التحليلي الكيفي ،والتي تتضمن المبادئ الأساسية لتلخيص وشـرح وهيكلة المادة محل الدراسة .

(Howley, 1999 -Langer, 1998)

لكن هذه الأدوات المنهجية لم تكن كافية لدراسـات الرسـائل أو النصوص الإعلامية في علاقاته المتشابكة والمعقدة مع الرسائل السابقة ، ومع بنية المجتمع والقوة المهيمنة عليه ، من هنـا تطـورت محـاولات التحليل الكيفي في الثمانينات من القرن الماضي باتجاه تبنى منهجية تحليل الخطاب ،وتحليل الخطاب النقدي، وقد تأثرت هذه المحاولات بهيمنة اتجاه ما بعد البنيوية . ورغم عدم الاتفاق علي مفهوم الخطاب إلا أنـه أصبـح يستخدم علي نطاق واسع في تحليل النصوص الإعلامية ، وقد نشأ مفهوم الخطاب في إطار دراسات اللغة والألسنية أو علم اللغة الحديث، رغم أن الألسنيون الأوائل أمثال سوسير Saussure ١٨٥٧-١٩١٣، وهلمسلف Hjemslew ١٨٩٩- ١٩٦٥، وجاكبسـون Jakobson ١٨٩٦- وغيرهم لم يناقشوا موضوع الخطاب وإنما كان بيسـنس Buyssens أول من طرح مسألة الخطاب في الدراسات الألسنية عام ١٩٤٣،ولكـن النقلة الألسنية الكبيرة في مسائل الخطاب جـاءت علـي يـد بنفسـت Benvenist ١٩٠٢-١٩٦٧وفي الوقت الحالي هناك توجه كامل- كما يقول الزواوي بغورة- في فرنسا يسمي تحليل الخطاب ، ويظهـر فـي أشكال مختلفة يمكن تصنيفها إلى أربع منظومات كبري هي ، المنظومـة المنطوقية ، والمنظومة الحجاجية ، والمنظومـة السـردية والمنظومـة الخطابية ، وقد ارتبطت الأعمال الأولى للبنيويين الفرنسيين- أمثال كلود

ليفي شتراوس ، ورولان بارت ، وجان لكان وميشيل فوكو – بهذه الأشكال من تحليل الخطاب (بغورة ، ٢٠٠٤).

ويمكن القول أن السيميولوجيا (العلاماتية) قد قادت في الستينات وأوائل السبعينات حقل تحليل النصوص الإعلامية، ووفرت للباحثين أسلوباً لتحيل المعني ، بينما هيمن التحليل الأيديولوجي علي هذا الحقل في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات ، وقد زود الباحثين بمنهج للتفكير في العلاقات بين المعني والبنية الاجتماعية ،ومنذ منتصف الثمانينات وحتى الآن أصبحت نظرية الخطاب هي التي تقود عمليات تحليل النصوص الإعلامية ، ولقد دفعت نظرية الخطاب الباحثين إلى إعادة التفكير في العلاقة بين المعنى والبنية الاجتماعية ،من خلال التركيز علي السلطة من داخل نظام المعني وليس من خارجه ، فنظم المعني نفسها تعتبر سلطة ،وهي لا تظهر بسهولة كنظم ، مثل بنية اللغة بل من خلال ممارسات ذات دلالة ، إنها ليست ببساطة المعاني المرتبطة بالممارسات الاجتماعية ، كما يقول ألتوسير في نظرية الأيديولوجية ، بل إن المعني والممارسة لا يمكن التمييز بينهما فهما مترابطان ، أي أن المعني هو الممارسة في نظرية الخطاب .

(Tolson, 1996, p196)

إن الخطاب ليس هو اللغة ،كما توجد اختلافات عميقة بين الخطاب والنص، وذلك رغم نشأتهما التقليدية من الدراسات اللغوية ، إن الخطاب والنص يبحثان في البناء والوظيفة لوحدات اللغة الكبرى ، كما تطورا في نفس الوقت تقريبا ،لذلك هناك من يعتبرهما متطابقين ، لكن

لاشك في وجود فروق كبيرة بينهما علي مستوي المفاهيم والمناهج والوظائف ، فالخطاب يركز علي اللغة والمجتمع . (Tankard,1994) بالإضافة الي أن الخطاب متحرك ومتغير ، وله جمهور وهدف وقصد معين ، ويتشكل من مجموعة من النصوص والممارسات الاجتماعية .

ويشير الخطاب – كما يقول فيركلاو – إلى استخدام اللغة حديثا وكتابة , كما يتضمن أنواعًا أخرى من النشاط العلاماتي مثل الصور المرئية – الصور الفوتوغرافية ،الأفلام ،الفيديو ،الرسوم البيانية – والاتصال غير الشفوي – مثل حركات الرأس أو الأيدي ... الخ – ويخلص إلى أن الخطاب هو أحد أشكال الممارسة الاجتماعية ، ثم يستخدم فيركلاو الخطاب بمعني أضيق حين يقول : "الخطاب هو اللغة المستخدمة لتمثيل ممارسة اجتماعية محددة من وجهة نظر معينة" ، وتنتمي الخطابات بصفة عامة إلى المعرفة ، وإلى بناء المعرفة.

(Fairclough ,1995,pp 53-56)

علي أن فيركلاو وغيره من الباحثين في حقل تحليل الخطاب النقدي قد توسعوا في تعريفاتهم واستخداماتهم لمفهوم الخطاب بحيث غدا عندهم يشمل كل شيء ، وتقع تحت مظلته تخصصات ومجالات واسعة في العلوم الاجتماعية ومن منظور نقدي . وقد ترافق ذلك بالتوسع في استخدام تحليل الخطاب النقدي عبر تخصصات مختلفة ولأغراض متباينة ، مع غياب التعاون بين هذه التخصصات ، ما أدى إلى عدم الاتفاق علي ما هو تحليل الخطاب، وكيف يمكن تطبيقه ، وما هي حدوده وإمكانياته ،

ومثل هذه الحالة لا تقلق الكثير من الباحثين حيث يري البعض أن كثـــيراً من المفاهيم والنظريات التي تستخدم في العلوم الاجتماعية لا يوجد حولها اتفاق ،كما هو الحال في عدم الاتفاق حول تعريـــف الأيديولوجيـــة بيـــن التخصصات المختلفة . (Tankard,1994)

إن عدم الاتفاق علي مفهوم الخطاب واستخداماته لم تمنـــع مـــن انتشار بحوث تحليل الخطاب وتناولها لموضوعات ومجالات متعددة ، من بينها تحليل الخطاب الإعلامي ، الذي يعتبر تطوراً مهماً لمجال التحليـــل الكيفي للرسائل الإعلامية وشروط إنتاجها وتداولها وتأثيرها في الجمهور، فضلا عن تفاعلاتها مع الظروف التاريخية و المجتمعية .

مجمل التطورات السابقة فيما يتعلق بتطور تحليـــل النصـــوص والرسائل الإعلامية انعكست بصور مختلفة، وأحيانا متباينة علي البحوث والدراسات العربية في مجال الإعلام ، كما كان لها – وبدرجات مختلفة– نماذجها وممثليها ، ولكن بصفة عامة كانت تلـــك التطـــورات المنهجيـــة والنظرية تنتقل إلى الدراسات والبحوث العربية بفارق زمني كبير ، كمـــا كان يجري تبنيها أحيانا بطريقة آلية وبدون تمثل لخصوصيـــات اللغـــة والثقافة العربية . وتكفي الإشارة هنا إلى أن البحوث الإعلامية العربيـــة، والتي صدرت باللغة العربية في الجامعات المصرية اســـتخدمت تحليـــل المضمون الكمي لأول مرة في مطلع السبعينات ، وقـــد هيمـــن التحليـــل الكمي للرسائل الإعلامية علي دراسات وبحوث الإعلام– خاصة رســـائل الماجستير والدكتوراه – في مصر خلال السبعينات والثمانينات ، إلـــي ان ظهرت في نهاية الثمانينيات أول دراسة استخدمت تحليـــل الخطـــاب اعتمادا علي مساهمات اللغويات واللغويات النقديـــة ، حيـــث اســـتخدمت

التحليل الاسلوبي والدلالي (خليل ,١٩٨٩). ثم ظهرت بعدها العديد من الدراسات والرسائل العلمية التي استخدمت منهجية تحليل الخطاب .

أولاً :إشكالية الدراسة :

ترتبط إشكالية الدراسة بمجمل الإشكاليات الخاصة بتطور تحليل الرسائل والمضامين الإعلامية وأهمها عدم التوازن بين التحليل الكمي والكيفي في دراسات وبحوث تحليل مضمون الرسائل الإعلامية ،وهيمنة التحليل الكمي علي التقاليد العلمية والمنهجية في مجال بحوث ودراسات الإعلام علي المستويين العالمي والعربي . ورغم محاولات استخدام مناهج وأدوات التحليل الكيفي ، وتطورها باتجاه استخدام تحليل الخطاب والاستفادة من علوم اللغويات ، والسيميولوجيا وعلم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعي والدراسات الادبية والاثنوجرافيا والدراسات الثقافية ،إلا أنه لا يوجد اتفاق حول الخطاب , كما تختلف المفاهيم النظرية والاستخدامات العملية لمفهوم الخطاب ، وقد انعكست تلك الإشكاليات علي المحاولات العربية لتحليل الخطاب الإعلامي ، والتي لم تتمكن من تحدي التقاليد العلمية السائدة و استخدام مناهج وأدوات التحليل الكيفي ، ومناهج تحليل الخطاب إلا في مطلع التسعينات ، وبعد أن أنجزت بحوث ودراسات تحليل الخطاب في الدول الاسكندنافية و بريطانيا وأستراليا وألمانيا والولايات المتحدة خطوات مهمة علي طريق التبلور المنهجي والإجرائي .

وتتبلور الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة في أن الفجوة الزمنية والعلمية بين مدارس تحليل الخطاب في العالم والمحاولات العربية في هذا

المجال قد وفرت للباحثين العرب فرصة الإطلاع علي ما قدمته مدارس التحليل الكيفي ومدارس تحليل الخطاب فى العالم من مساهمات نظرية وتطبيقات عملية ،لكنها ضاعفت من حدة ونوعية الإشكاليات التى تواجهها البحوث العربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي – كما تجسده البحوث والدراسات التي أجريت في مصر باللغة العربية – حيث انتقلت الإشكاليات المعرفية والمنهجية الخاصة بمفهوم الخطاب وحدود استخداماته ونتائجه إلى الدراسات العربية ،مما أدى إلى بعض الخلط المفاهيمي والمعرفي في استخدام بعض الدراسات العربية لتحليل الخطاب . من هنا فإن الدراسة تسعي إلى مناقشة إشكاليات تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية العربية .

ثانيا :أهداف الدراسة :

في ضوء الإشكالية الرئيسية للدراسة وما ارتبط بها من إشكاليات يمكن تحديد أهداف الدراسة في :

١- التعرف علي الملامح الرئيسية لمدارس تحليل الخطاب والتي جاءت من تخصصات وعلوم مختلفة ، وأثرت علي البحوث العربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي.

٢- الكشف عن أهم الاختلافات المعرفية والمنهجية بين مدارس تحليل الخطاب ، والتي أدت إلى عدم الاتفاق حول مفهوم الخطاب ، وحدود استخدامات تحليل الخطاب ، ونتائجه .

٣- رصد وتحليل نشأة وتطور البحوث والدراسات الإعلامية العربية التي ظهرت في مصر واستخدمت مفاهيم وأدوات ومناهج تحليل

الخطاب .

٤- الوقوف علي مدي الدقة والوضوح في مفاهيم وإجراءات استخدام وتطبيقات تحليل الخطاب في الدراسات العربية ،في ضوء تأخر ظهورها واعتمادها علي مدارس تحليل الخطاب الأوربية والتي تعاني من إشكاليات عدم الاتفاق علي مفاهيم الخطاب وحدود استخدامات تحليل الخطاب ونتائجه .

ثالثا : تساؤلات الدراسة :

١- ما هي العلاقة بين تحليل الخطاب والدراسات اللغوية من جهة , وبين تحليل الخطاب ودراسة النص من جهة ثانية ؟

٢- ما هي الجذور المعرفية لتحليل الخطاب؟ وما هي أهم مفاهيم الخطاب واستخداماته ؟

٣- ما المقصود بتحليل الخطاب والتحليل النقدي للخطاب ؟ وما هي حدود استخداماتهما ؟

٤- ما المقصود بالخطاب الإعلامي وكيف يمكن تميزه عن بقية الخطابات في المجتمع ؟

٥- إلى أي مدي يمكن التقريب بين المدارس المختلفة لتحليل الخطاب ؟

٦- لماذا تأخر ظهور الدراسات والبحوث الإعلامية التي استخدمت تحليل الخطاب ؟

٧- ما هي الظروف والتحديات التي أحاطت بنشأة الدراسات والبحوث العربية التي استخدمت مفاهيم تحليل الخطاب ؟

٨- كيف انعكست الإشكاليات المنهجية الخاصة بمفاهيم الخطاب وحدود استخداماته علي الدراسات والبحوث العربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي ؟

٩- ما هي أهم موضوعات الدراسات والبحوث الإعلامية العربية التي أجريت في مصر واستخدمت مفاهيم ومناهج تحليل الخطاب ؟

١٠- ما هي أهم الأصول المعرفية والإجراءات المنهجية التي استخدمتها الدراسات العربية في مجال تحليل الخطاب ؟

١١- كيف يمكن مواجهة وحل الإشكاليات التي تعاني منها الدراسات والبحوث الإعلامية العربية التي اعتمدت علي تحليل الخطاب ؟

رابعا : حدود الدراسة وأهميتها :

تستمد هذه الدراسة أهميتها من حداثة استخدام تحليل الخطاب في البحوث والدراسات الإعلامية العربية ، ومن ثم قلة الكتابات النظرية والتطبيقات العملية في مجال تحليل الخطاب ، مع وجود قدر من الغموض المفاهيمى والاضطراب النظري حول تحليل الخطاب واستخداماته ،من هنا تبرز أهمية التأصيل النظري للموضوع ،ومناقشة إشكاليات استخدام تحليل الخطاب في البحوث والدراسات العربية ،بغية التوصل إلى بعض المقترحات لتطوير استخدامات تحليل الخطاب الإعلامي في البحوث والدراسات العربية .

وتقتصر الدراسة علي وصف وتحليل نماذج من رسائل الماجستير والدكتوراه التي نوقشت وأجيزت في كلية الإعلام جامعة القاهرة ،

واستخدمت تحليل الخطاب ، ويأتى اختيار رسائل الماجستير والدكتـــوراه في ضوء :-

- فرضية أن تلك الرسائل تراعي القواعد والتقاليد العلمية ، كما تلتزم بأكبر قدر ممكن من الدقة المنهجية .
- معرفة ومتابعة الباحث للمساهمات النظرية والتطبيقية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي في مصر .
- عدم قدرة الباحث علي الإطلاع علي بحوث ودراسات تحليل الخطاب الإعلامي في تونس والجزائر والمغرب ، وذلك بالرغم من محاولاته العديدة للحصول علي نماذج منها . ويمكن القول أن تلك المحـــاولات كشفت عن ندرة البحوث والدراسات المكتوبة باللغة العربية عن تحليل الخطاب الإعلامي في دول المغرب العربي ،لذلك ربما تقدم البحـــوث والدراسات المصرية نموذجًا للمساهمات العربية فـــي مجـــال تحليـــل الخطاب الإعلامي .

وإذا كانت العناصر السابقة تمثل حدوداً أو قيوداً معلنة مفروضـــة علي الدراسة ، فان هناك قيوداً وحدوداً ضمنية أو غير معلنـــة تقتضـــي الأمانة العلمية الاعتراف بها وتتمثل في ارتباط موضوع الدراسة بمجال عمل الباحث واهتماماته مما قد يخلق نوعًا من التعاطف غير المعلن مـــع الموضوع ، كما أن محاولته للوقوف علي مدي دقة ووضوح اســـتخدام الدراسات التي تشكل عينة الدراسة لمنهجية تحليل الخطاب ربما يوقعـــه في إشكالية تقييم زملاء وأصدقاء من باحثي الإعلام في مصر تربطهم والباحث علاقات مهنية وشخصية، فضلا عن أن إدراج الباحث لرســـالته

للماجستير ضمن عينة الدراسة ربما يوقعه في إشكالية تقييم الذات بما لها وعليها من سلبيات وإيجابيات .

خامسًا : الإجراءات المنهجية :

تتدرج الدراسة ضمن الدراسات الوصفية التحليلية ، لذلك اعتمدت علي المنهج المسحي بشقيه الوصفي والتحليلي ، بالإضافة إلى المنهج المقارن ، أما عينة الدراسة فتكونت من ٩ رسائل للماجستير والدكتوراه نوقشت في كلية الإعلام جامعة القاهرة، خلال الفترة من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٣،وقد اختيرت هذه الرسائل بطريقة عمدية بحيث يتوافر فيها شرطان ،الأول تقديم إطار نظري حول منهجية الخطاب واستخداماته ، والثاني استخدام منهجية الخطاب في تحليل موضوعات إعلامية متنوعة، ويمكن القول أن هذه العينة تمثل أكثر من نصف رسائل الماجستير والدكتوراه التي استخدمت تحليل الخطاب في كلية الإعلام جامعة القاهرة.

سادسًا :مدارس تحليل الخطاب الإعلامي :

سبقت الإشارة إلى تعدد وتداخل التخصصات والمدارس اللغوية والألسنية والأدبية والفلسفية التي تستخدم مفهوم الخطاب ومنهجية تحليل الخطاب، الأمر الذي أدي إلي اختلاط وأحيانا غموض مفهوم الخطاب والأسس المعرفية والنظرية لمنهجية تحليل الخطاب واستخداماته ، من هنا تأتي أهمية عرض وتحليل أبرز هذه المدارس والتخصصات في الدراسات الألمانية والاسكندنافية والأنجلوسكسونية للوقوف علي أهم مساهماتها النظرية والتطبيقية في مجال تحليل الخطاب بعامة والخطاب الإعلامي بخاصة ، وسيحاول الباحث عدم التقيد بالمدرسة الفرنسية فقط

والتي كان لها فضل الريادة ،إذ لا يمكن القبول بادعاء دومينك مـــانجينو Maingueneau – الباحث الفرنسي المتخصص في تحليل الخطاب – والذي يحصر تحليل الخطاب داخل المدرسة الفرنسية وحدها (يوســـف , ٢٠٠٤)

١- مدارس التحليل اللغوي للخطاب الإعلامي :

تظهر الأصول النظرية لتحليل الخطاب اللغوي في أعمـــال عـــالم اللغة الشهير فرديناند دي سوسير ، الذي أسس المدرســـة البنيويـــة فـــي دراسة اللغة ، والتي تطورت بعد ذلك واهتمت بتحليل الأسلوب ، والنص، وبالتطبيقات اللغوية في مجالات وسياقات مختلفة ، لعل أهمها النظريـــات الأدبية الحديثة والمعاصرة اعتمادا علي مفهوم تحليل الخطاب .

(Bartton, 2002, pp 575-598)

في هذا الإطار ظهرت اتجاهات في دراسة الأسلوبية ، الأول أقرب إلى البلاغة ، والثاني يدرس علاقة التعبير بالفرد أو الجماعة ، وقد أسس شارل بالي علم الأسلوبية اعتماداً علي دراسات سوسير في اللغة ، وقـــد عرف علم الأسلوبية بأنه يبحث في لغة جميع الناس بما تعكسه – لا مـــن أفكار خالصة – بل من عواطف ومشاعر ، وأن موضوع الأسلوبية هـــو لغة كل الناس ...فجميع الظواهر اللغوية بمستوياتها المختلفـــة يمكـــن أن تكشف عن الخواص الأسلوبية في اللغة، لكن تلاميذ بالي ضيقوا من مجال بحث الأسلوبية وحصروه في الدراسات الأدبية، كما أخضعوا الجوانـــب الجمالية للتحليل اللغوي اعتماداً علي مناهج نفسية وبنيوية ، وقد أوضـــح سوسيير أن علم الأسلوب يمثل المجال اللغوي كإبداع بينما علـــم اللغـــة

يمثل المجال اللغوي كتطور وتاريخ ،كذلك ظهرت اتجاهات أحدث اهتمت بشخصية المؤلف و بعملية التفاعل بين المؤلف والقارئ (فضل, ١٩٨٥, ص ص ٢١ - ٣٧) ، وقد اهتم علماء اللغة منذ وقت طويل باللغة المستخدمة في وسائل الإعلام حيث ركزوا على تركيب الجمل والقواعد النحوية والبلاغية المستخدمة ، كما ناقشوا السمات البنائية والبلاغية الخاصة للغة الإعلام أو ما عرف بالخطاب الإعلامي .

وتعرضت الدراسات اللغوية التقليدية والأسلوبية إلى انتقادات واسعة بسبب تركيزها علي اللغة أو الأسلوب بعيداً عن السياق المجتمعي ، وعلاقات القوة داخل المجتمع ، من هنا ظهر ما يعرف بالاتجاهات اللغوية الاجتماعية ، والتي اهتمت بدراسة اللغة الإعلامية من منظور اجتماعي ثقافي برز بوضوح في أعمال عالم اللغويات الاجتماعية بل Bell والذي اهتم بدراسة علاقات الارتباط بين الملامح اللغوية المتغيرة وبين الملامح المتغيرة للسياق الاجتماعي . وقد خلص علي سبيل المثال إلى أن درجة تبسيط نطق نهايات الكلمات في لغة المذيعين تختلف فيما بين محطات الإذاعة في نيوزيلندا وفقا للمهن الرئيسية لجماهير المستمعين (Fairclough, 1995, p 27) .

وتركز دراسة تحليل الخطاب ذات المنحي اللغوي الاجتماعي علي النص الكامل سواءً كان مكتوباً أو منطوقاً ، كما تهتم أيضاً بشكل النص،وبنيته وتنظيمه علي كل المستويات الفونولوجية - علم الأصوات الكلامية – والقواعد النحوية ، لكن اللغة هنا تشمل القواعد النحوية وتركيب الجملة ومستويات تنظيم النص في مفاهيم خاصة، فضلاً عن بنية

المناقشات العامة والتي تتجلى من خلال مـــا هـــو اجتمـــاعي وسياســـي والقواعد المؤسسية لممارسة الحوار (Currtin, 1996). إن السؤال الرئيسي الذي يسعى تحليل الخطاب إلى الإجابة عليه هو لماذا أخذ هـــذا النص هذا الطريق ولم يأخذ طريقـــاً آخـــر؟، وتـــري كوتـــس جينيفـــر coates jennifer أن إجابة هذا السؤال تتطلب تحليل ستة مســـتويات هي :-

- أن الخطاب يشكل من خلال الكلمة كما أنه يشكل الكلمة
- اللغة تشكل الخطاب والخطاب يشكل اللغة
- الممارسة تشكل الخطاب ، كما أن الخطاب يشكل الممارسة
- الخطاب يشكل من خلال الخطاب الســـابق – خطـــاب المـــاضي – والخطاب يشكل إمكانيات خطاب المستقبل
- الخطاب يشكل من خلال وسيلته ،كما أن الخطاب يشكل إمكانيات هذه الوسيلة
- الخطاب يشكل بواسطة غرضه ، كما أن الخطاب يشـــكل الأغـــراض الممكنة

وتؤكد كوتس جينيفر أن الخطاب يرتبط باللغة والدراسات الأدبيـــة ودراسات التعبير والاتصال وتخصصات أخرى متعددة.

(Jennifer, 1988, pp237 - 247)

ومهدت المساهمات السابقة إلى ظهور مدرسة اللغويـــات النقديـــة

كلمات محددة بطريقة معينة تتضمن اختيارات وتحـــيزات أيديولوجيـــة ، بينما ركز هودج و كريس علي سلاسل التناص في الممارسات الخطابية ، وعلي أهمية اختيار المفردات اللغوية والضمائر والأفعال المساعدة . وميز هودج و كريس بين النص والخطاب من ناحيـــة المفـــاهيم والإجـــراءات النظرية والمنهجية والأهداف التي يسعى كل منهما إلى تحقيقها، فالخطاب هو العملية الاجتماعية التي تكون النصوص متضمنة فيها ، بينما النـــص هو جزء من الخطاب ، أي أن النصوص هي تجليات للخطاب ، كمـــا ميز هودج وكريس بين الخطاب والأشكال الأدبية رغم أنهمـــا يحمـــلان معاني اجتماعية .

(Gunter and Roert, pp67-73- pennycook ,2002)

وقد بلور هودج وكريس نموذجاً لتحليل الخطاب من خلال النظـــر إلى اللغة كأيديولوجية ، تماما كما فعل هاليداي Halliday في السبعينات من القرن العشرين ، حيث استفادا من نظرياته في تحليل الخطاب ، واتفقا معه في أن قواعد اللغة هي اختيارات وليست قواعد ، كما أن النحو هو نظرة للواقع وليس عملا محايدا كما يعتقد معظم الناس لذلك ركزا علي أن اللغة والتركيبات اللغوية يمكن أن تتحدد وتتمفصل مع الأيديولوجية ، وتمنح الشرعية لمؤسسات السلطة في المجتمع ، ويتكون نموذج هودج و كريس من شبكة من المفاهيم تشـــمل الفـــاعلين والأفعـــال أو العمليـــات والمفعول به ، والعلاقات بينها ، وعلي سبيل المثال عندما نقـــرأ جملـــة (البوليس أطلق النار علي المشاغبين)، فإن الفاعل واضح بينما المشاغبون هم المتأثرون بالفعل ، لكن عندما نقرأ (ويجري رجل الشرطة) ، فإننا لا نعرف ما هي طبيعة العلاقة وما هو سياق وهدف قيام رجـــل الشـــرطة

linguistics critical في السبعينات من القرن العشرين ، بجامعة إيست انجليا علي يد مجموعة من الباحثين ،وتقوم هذه المدرسة علي محاولة الدمج والتأليف بين الدراسات اللغوية النظامية والدراسات اللغوية الاجتماعية والمناهج النقدية والدراسات السميولوجية ، حيث تنطلق من تعدد وظائف النص ،خاصة النص الإعلامي ،فهناك الوظيفة الفكرية – تكوين الأفكار – ووظيفة تصوير العلاقات الاجتماعية والهويات الاجتماعية ، كما تنظر هذه المدرسة إلى النصوص كنتاج لاختيارات من بين نظم الخيارات المتاحة من ناحية النحو ومفردات الكلمات وما إلى ذلك ، ويعتبر الخطاب هنا مجالاً للعمليات الأيديولوجية وللعمليات اللغوية ..مع وجود علاقة محددة ومقررة بين هذين النوعين من العمليات ، وبشكل محدد يمكن أن تحمل الاختيارات اللغوية داخل النصوص معناً أيديولوجياً ، كما تركز تلك المدرسة علي عملية الإقرار أو التقديم representation أي طريقة عرض الأحداث، والوظيفة الفكرية أي المتعلقة بفكرة معينة (**Howley, 1999-Fairclough,1995,p** 23) . ولعل ترو Trew ، وهودج و كريس Hodg and Kress من أبرز رموز تلك المدرسة، حيث قدم الأول أبحاثاً عديدة حول مسيرة الخطاب في الصحف ،ركز فيها على عملية تحويل المواد الإخبارية الواردة من وكالات الأنباء والمصادر الأخرى إلى تقارير إخبارية منشورة ، والتغييرات التي تخضع لها القصة الإخبارية من تقرير لآخر ،أو من التقارير إلى التحليل المعمق .. إلى المقالات الافتتاحية ، عبر فترة زمنية معينة ، فقد يحذف الفاعل بهدف ترك القوي الفاعلة أو الجهات المسئولة غير محددة ، كما قد تعاد صياغة الجمل أو يقع الاختيار على

بذلك، وهل هو هنا في دور الفاعل أم المفعول به.

(Delinger,1995 - Tankard,1994)

ورغم أهمية الاستنتاجات التي توصل إليها الباحثون اعتماداً علـــى الأطر النظرية والنماذج التحليلية لمدرسة اللغويـــات النقديـــة إلا أنهـــا تعرضت لانتقادات عديدة نظراً لإهمالها بحث قواعد الـــتركيب اللغـــوي والنحوي ، وكذلك لعدم اهتمامها بطبيعة فهم أو تأويل الجمهور للنصوص التي تشكل الخطاب الإعلامي ، أي أن التحليل ينحصر في إطار العمليات التي يقوم بها المحللون.

٢- ميشيل فوكو وتحليل الخطاب :-

منحت أعمال فوكو الخطاب كمفهوم ومنهج للتحليل حياة جديـــدة وفتحت آفاقاً رحبة أمام الباحثين في العلوم الاجتماعية ،حيث أسس مفهوماً للخطاب لا يقوم علي أصول ألسنية أو منطقية بل يتشكل أساســـا مـــن وحدات سماها بالمنطوقات ، وهذه المنطوقات تشكل منظومات منطوقيـــة تسمي بالتشكيلات الخطابية ، هذه التشكيلات تكون دائماً في حقل خطابي معين ، وتحكمها قوانين التكوين والتحويل ، وعلي هذا الأساس يخلـــص الزواوي بغورة إلى أن الخطاب يختلف عن الجملـــة والقضيـــة ، كمـــا يختلف التحليل الخطابي عن تحليل اللغة والتحليـــل المنطقـــي ، ذلـــك أن تحليل الخطاب يعتمد علي الوصف الأركيولوجي والتحليل الجينولوجي – و يسعى الأول إلى سن قوانين ندرة المنطوقات وتراكمها ، أما الثاني فهو يعني البحث عن البدايات لكن بطريقة غير تقليدية تختلف عـــن الطريقـــة التقليدية التاريخية حيث تركز علي تبين الإنقطاعات والفواصـــل – مـــن

أجل الكشف عن ندرة وخارجية وتراكم وقبلية الخطابات أو بتعبير دقيق يقوم علي التحليل التاريخي للخطابات ، ولا تعود مرجعية الخطاب إلى الذات أو إلى المؤسسة أو إلى الصدق المنطقي أو إلى قواعد البناء النحوي، وإنما إلى الممارسة (بغورة , ٢٠٠٠ ، ص ص ١٢٤ –١٤٤)

وركز فوكو علي نقد وهدم التفكير الغربي الذي كان دائماً يركز علي معني أن نكون بشراً بدلاً من كيف نكون بشراً ، وفي هذا السياق أكد علي وفاة الفاعل الموحد أو الوحيد وظهور كثير من الفاعلين ، فالبشر ليس هم الفاعل الوحيد بل هم منتجات الممارسات الخطابية ، كذلك فإن الموضوعات ليست حقائق اجتماعية بل هي عملية تتعلق بكيف يأتي الفاعلون بالأشياء إلى الوجود من خلال اللغة ، لذلك يمكن القول بوجود علاقة بين السلطة أو القوة power واللغة ، وبالتالي يجب اعتبار الفاعلين تكوينات اجتماعية تم إنتاجها من خلال الخطابات الاجتماعية التي تضع هذه التكوينات الاجتماعية في حقل علاقات القوة.

(Langer, 1998)

ولعل تهميش فوكو لدور البشر كفاعلين اجتماعيين هو ما عرضه لكثير من النقد ، بالإضافة إلى تعدد وغموض بعض المفاهيم الأساسية التي اعتمد عليها في تحليله للفكر الغربي ، وفي مقدمتها مفهوم الخطاب ذاته ، حيث أشار إلى الخطابات كتصريحات ، وعرف تحليل الخطاب علي انه تحليل للأداء الشفوي ، كما اعتبر الخطابات عوامل نشطة لتكوين وبناء المجتمع مع تبعيتها في الوقت نفسه لمجتمع معين أو مؤسسة معينة ، وفي موضع آخر اعتبر الخطابات تعبيراً عن علاقات القوة ، كما تشير

أيضاً إلى كل ما يمكن التفكير فيه أو كتابته أو قوله بشـــأن موضـــوع أو شيء معين ،ويهدف تحليل الخطاب لدي فوكو إلى تنويـــر البنيـــة غـــير الواعية التي تحد من طريقة تفكيرنا ، وفي كتابه الشـــهير (أريكولوجيـــا المعرفة) حاول فوكو إنشاء طريقة غير تأويلية وغير جدلية وغير متعلقة بنظرية المعرفة لوصـــف وتصنيـــف التكوينـــات الخطابيـــة التاريخيـــة (Langer, 1998). إن تحليل الخطاب يتعارض مع منهج التحليـــل المنطقي ومنهج التأويل ، إذ لا يبحث في باطن الخطاب ولا خلف اللغـــة لكنه يتوقف عند حرفية الخطاب ، عكس التأويل الذي يبحث فـــي بـــاطن الخطاب مسائلا المعني والمضمون والفكرة المستترة وراء اللفظ.

(بغوره ٢٠٠٤)

ويخلص الزواوي بغورة إلى أن الخطاب يتنافى وما تعودنا علـــي تسميته في إطار تاريخ الفكر بالنص ، والأثر والقضية والجملة والمجـــال العلمي أو الفرع العلمي ، إن المفهوم الخاص بالخطاب لا يمكن اشـــتقاقه مباشرة من الألسنية أو التحليل الخطابي أو فلسفة التحليل ، ولكن في نفس الوقت لا يمكن فصله عـــن مجمـــل الحـــوارات والمناقشـــات والأســـئلة المطروحة والمناقشات والأسئلة في هذا الميدان والتي كـــانت موضـــع تفكير فوكو ، وإن بطريقة مختلفة وبمفاهيم مغايرة .

(بغورة , ٢٠٠٠ ، ص ١١١)

ويحتل مفهوم المعرفة والسلطة (القوة) مكانة مركزية عند فوكـــو، حيث ناقش كافة أشكال السلطة ، وقد حدد مفهوم المعرفة- السلطة بالجمع والربط بينهما لا بالفصل والتمييز كما هو الحال عند الفلاسفة والبـــاحثين

الماركسيين أو المنتمين لمدرسة فرانكفورت (بغورة ،٢٠٠٠ ، ص ص ٢٣١- ٢٤٣) ،وعارض فوكـــو فكـــرة أن الســـلطة مســـاوية للعنـــف والإخضاع والهيمنة كقاعدة أساسية ، بل يمنح السلطة دوراً إيجابياً ، دور الإنتاج دون إهمال للعنف كممارسة أو كحل تلجأ إليه السلطة في بعـــض الأحيان ، ثم يعرف السلطة بأنها مجموعة من علاقـــات القـــوي ضمـــن استراتيجيات محددة (بغورة ،٢٠٠٠، ص٢٣٣) ، لكن قـــد تتمفصـــل السلطة والمعرفة في الخطاب ، يقول فوكو" يجب ألا نتخيل عالماً للخطاب مقسماً بين الخطاب المقبول والخطاب المرفـــوض ، أو بيـــن الخطـــاب المسيطر والخطاب المسيطر عليه،بل يجب أن نتصوره كمجموعة عناصر خطابية تستطيع أن تعمل في استراتيجيات مختلفة (وذلك) لأن الخطابات عناصر أو كتل تكتيكية في حقل علاقات القوي ، قد تكون هناك أشـــكال متباينة منها وحتى متناقضة داخل الإستراتيجية الواحدة نفسها ، وبالعكس يمكن أن تتنقل هذه الخطابات بين استراتيجيات متناقضة دون أن يتبدل شكلها (بغورة , ٢٠٠٠ , ص ٢٧٨)، ويخلص الزواوي إلى أن الخطاب ليس فقط موضوعًا من الموضوعات كالمعرفة والسلطة والـــذات ، بـــل الحقل أو الميدان الذي منه تتمفصل المعارف والسلطات والذوات ، لذلك لا يمكن أن نقول أن هناك خطابات مقبولة وأخرى مرفوضة .

(بغورة ،٢٠٠٠, ص ٢٧٨)

ويلاحظ أن الباحثين قد اختلفوا حول تصنيف مساهمات فوكـــو ، فهناك من يري انها تدخل في سياق ما بعد الحداثة ، بينما يعتبره آخرون ما بعد بنيوي ،لأنه يؤكد علي الوجود الإنساني اعتمـــادا علـــى أشـــكال

المعرفة والخطابات التي تعمل من خلال اللغة ، إن اللغة والخطابات تحدد الواقع بالنسبة لنا ،كما أن الخطاب يشكل هويتنا وسلوكنا ..فالخطابات تحدد الحياة الاجتماعية من حولنا ..وتحدد من نحن وطريق حياتنا .. إن الخطاب يشكل هويتنا وسلوكنا كما ينعكس في الصراع حول السلطة.

(Tolson, 1996 ,p-234.pp421-422)

ولاشك أن أعمال فوكو قد أحدثت تأثيرات معرفية ومنهجية واسعة، كما أثارت جدلاً واسع النطاق وخضعت لقراءات متعددة ، وأدت بعض تلك القراءات إلى تطوير لبعض مفاهيم فوكو نفسه ، حيث أعاد بعض الباحثين تعريفها وتوظيفها في مجالات متنوعة من بينها بحوث ودراسات تحليل الخطاب الإعلامي ، حيث تكاد لا تخلو دراسة في تحليل الخطاب الإعلامي أو في التحليل الكيفي لمضامين وسائل الإعلام إلاّ وتستفيد من أعمال فوكو ، رغم أنه لم يكتب عن وسائل الإعلام أو الثقافة الشعبية بشكل مباشر ، وتبدو تأثيرات فوكو واضحة في أعمال تحليل الخطاب الإعلامي التي قدمها علماء اللغويات خاصة اللغويات الاجتماعية واللغويات النقدية ، كما ستظهر بوضوح في أعمال فيركلاو ، وفان ديك وآخرين .

٣- التحليل السميولوجي للخطاب الإعلامي :-

السيميولوجياSemiology والسيميوطيقا مصطلحان منقولان عن الإنجليزية ، وهما بدورهما منقولان عن الأصل اليوناني Semeion بمعني الإشارة أو العلامة ، ولذلك فقد ترجم المصطلح إلى العربية أحيانا بعلم الإشارة وأحيانا أخري بعلم العلامات ،وإن فضل معظم الباحثين

العرب ترجمتهما كما هما في الأصل الإنجليزي أو الفرنسي السيميولوجيا والسيميوطيقا ، ويترجمهما البعض بالسيمياء ،والسميائية ،والرمزية (النفادي , ٢٠٠٢) ، وإذا كان موضوع العلامة هو أساس علم السميولوجيا فإن وسائل الإعلام تنقل وأحيانا تخلق فيضاً من العلامات والرموز، من هنا ظهر الاهتمام بدراسات سيميولوجيا الخطاب الإعلامي ، وقد بدأ هذا الاهتمام بدراسة صور الإعلانات أو الصور الإشهارية في الأربعينات من القرن العشرين حيث أثير نقاش واسع حول العلاقة بين السميولوجيا واللسانيات ،بمعني هل سيميولوجيا الصورة مجرد نقل حرفي مباشر لمفاهيم اللسانيات مطبق علي النماذج البصرية ؟ وفي إطار محاولات الإجابة علي هذا السؤال تطورت مناهج تحليل الصورة الإشهارية (الإعلانية) استناداً إلى لسانيات دي سوسيير ، وانثربولوجيا ك. ليفي شتراوس ورياضيان شانون ،وأعمال بول ريكور التأويلية، وأبحاث رولان بارت السميولوجية ، والأعمال الخاصة بالتواصل التي بدأت في سنة ١٩٦٠ في المدرسة العليا بباريس ، ويختزل ك . كوست أنواع المناهج التي انبثقت عن هذه الأبحاث في مجال تحليل الصورة في منهجين اثنين هما المقاربة اللسانية ، والمقاربة البلاغية التي تزعمها رولان بارت ، ثم ظهر بعد ذلك المنهج البنيوي الذي تزعمه لوي بورشر L.porcher ، ومنهج السميائيات السردية الذي تزعمه فلوش J.M.Floch (غرافي , ٢٠٠٢، ص ص ٢٢١-٢٤٩) .

وتفاعلت هذه المناهج مع بعضها تأثيراً وتأثراً وأنتجت الكثير من البحوث حول خطاب الصورة الإشهارية (الإعلانية) والصورة الفوتوغرافية ،والصورة السينمائية ، ومع انتشار الصور التليفزيونية

اتسع مجال عمل تلك النوعية من دراسات تحليل الصور وعلاقاتها بالنص المصاحب من جهة وعلاقتها بالواقع من جهة أخرى مع الأستفادة من الاتجاهات المعاصرة في تأويل الخطاب . في هذا السياق أفردت مجلة الاتصال الفرنسية عام ١٩٦٤عدداً خاصاً ساهم فيه عدد من الباحثين الذين وضعوا الأسس الأولية لمشروع تحليل الخطاب أهمهم بريموند ، و تودوروف ، و مينز ، ورولان بارت (القرني ،١٩٩٧،ص ص٣٧-٥٢) ، لكن تأمل أسماء هؤلاء الباحثين يرجح القول بأن محاولاتهم انصبت علي وضع أسس تحليل الخطاب السميولوجي في وسائل الإعلام أو بعبارة أخرى تحليل الخطاب الإعلامي من منظور سميولوجي فقط ، بيد أن مساهماتهم مهدت الطريق لظهور مساهمات لعدد من باحثي الإعلام والاجتماع في السبعينات والثمانينات، ربما كان من أبرزهم هارتلي Hartleyالذي ركز علي تحليل النشرات الإخبارية التليفزيونية من خلال مجموعة من الأكواد والأعراف السميولوجية التي تشكل أساس الملامح اللغوية والمرئية للفقرات الإخبارية ، ويشمل تحليل الأكواد المرئية Virsual cods الطرق المختلفة لتقديم الأخبار مثل ظهور رأس مذيع الأخبار أو المراسل ..واستخدام الصور الفوتوغرافية الثابتة والتقارير المصورة ..وإطار الصور وتحركات الكاميرا ، ويفترض هذا التحليل أن الاختيارات المتاحة في نطاق الأكواد المرئية بما في ذلك الخيارات التقنية المتعلقة بعمل الكاميرا تحمل معاني اجتماعية ، وكذلك اختيار الموضوعات وتركيب الفقرات والجمل ، ودور المذيعين في توجيه الحديث ، من هنا يركز التحليل علي ربط خصائص النصوص بالأيديولوجيات الصريحة والضمنية(**Fairclough 1995, p 24**).

٤-تحليل المحادثة :

في إطار نقد وتجديد علم الاجتماع التقليدي اقترح عالم الاجتماع الأمريكي هارولد جارفينكل Harold Garfinheld في منتصف الستينات من القرن الماضي الاهتمام بتحليل الأساليب التي يستخدمها الناس العاديين في حياتهم اليومية لتفسير أنشطتهم وجعلها مفهومة سواء لأنفسهم أو للآخرين ، وفي هذا السياق صك جارفينكل مصطلح الاثنوميثودولوجيا Ethnomethodology والذي يعني منهجية الجماعة أو بالأحرى منهجية دراسة الإدراك العام للجماعة ،وقد نهضت الاثنوميثودولوجيا علي خلفية فلسفية متنوعة منها الفينومولوجيا، وفلسفة فيتجنشين ،بالإضافة الي كثير من إتجاهات ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة ، واهتمت باللغة والمعني وبالطريقة التي يسهم بها حديثنا في خلق واقعنا الاجتماعي ،وقد ظلت الاثنوميثودولوجيا إتجاهًا مقبولاً للبحث لدي قلة من الباحثين إلا أنه قد أصبح جزءًا من قلب نظرية علم الاجتماع بفضل أعمال انتوني جيدنز (مارشال ،٢٠٠٠،ص ص٨٧-٩١) .

وفي ضوء مساهمات الاثنوميثودولوجيا أسس هارفي ساكس قواعد لتحليل المحادثة أو ما يعرف أحيانا بخطاب الحياة اليومية سواء كانت أحاديث هذا الخطاب تجري بشكل رسمي أو غير رسمي ، وبغض النظر عن طبيعة الاختلاف أو الاتفاق بين أطراف المحادثة اليومية . و قد استخدم هيريتاج و جريتباتش و هاتسبي هذه القواعد لتحليل الأحاديث والحوارات في وسائل الإعلام المختلفة ، وركز هيريتاج علي الصيغ التي يستخدمها من يقومون بإجراء الأحاديث ضمن نشرات الأخبار

السرد ، والتناص بين النصوص الأدبية ونصوص البرامج والخطابات الإعلامية المختلفة ،كما قام تولسن بدراسة تطور عمليات إجراء الحديث ، وخلص إلى أن هذا التطور أدى إلى تجزئة الجماهير المستمعة و تنحية الجمهور العام(Fairclough, 1995 , p 32) ، ويمكن القول أن باحثي التحليل الثقافي العام استخدموا مناهج وطرق في تحليل الخطاب قريبة من تحليل المحادثة إلا أنها تختلف معها في النظرة الشاملة للمحادثة في وسائل الإعلام في علاقتها بالمجتمع،حيث تربط بين تحليل المحادثة وبين الأيديولوجية وعمليات السيطرة في المجتمع .

٦-منهج تحليل الخطاب الاجتماعي الإدراكي :

ارتبط هذا المنهج بأعمال الباحث الهولندي فان ديك في تحليل الأيديولوجية والخطاب السياسي و الخطاب الإعلامي ، والذي ربط فيه بين الجوانب النحوية والتركيبات اللغوية والسردية والإدراكية في دراسة النص ، بالإضافة إلى استخدام مناهج تحليل الخطاب ، وربما يرجع الطابع التكاملي لمنهج فان ديك إلى جذوره الأولى حيث دعا في السبعينات من القرن الماضي – وقبل تحوله إلى مجال تحليل الخطاب- إلى ضرورة اهتمام نظريات تحليل النص وتحليل الخطاب الإعلامي بالنصوص ذات الصلة وسياق النص ، كما دعا أيضا إلى الجمع بين المؤشرات الكمية والكيفية في تحليل الخطاب , من هنا توسع في تحليل عينات كبيرة نسبياً من الأخبار والمواد الإعلامية.(Langer,1998)

ويمكن القول أن فان ديك قد انتقل إلى مجال تحليل الخطاب في مطلع الثمانينات من القرن الماضي ، حيث اهتم بالتكوينات الخطابية

هـال Stuart Hall، لكـن ربمـا كـانت أعمـال ريموند ويليامز Raymond Williams الأكثر أهمية في تأسيس هذه المدرسة التي ربطت بين الثقافة والإعلام في إطار اهتمامها بتحليل معني الثقافة ، وتحول الثقافة إلى سلع تنتج وتوزع علي نطاق واسع في ظـل المجتمـع الرأسمالي ، من هنا ظهر مفهوم الثقافة الجماهيرية المادية ،وكيـف أن وسائل الاتصال الجماهيري تلعب دوراً بالغ الأهمية في إنتـاج وترويـج الثقافة الجماهيرية وعلاقة ذلك بأسلوب الحياة والأيديولوجية والوعي فـي المجتمع **(Munns and Rajan,1995)**

وفي إطار اهتمامات مدرسة التحليل الثقافي بالإعلام ظهرت كثير من البحوث التي تناولت بالتحليل الخطاب الإعلامي من زاوية تأثيره في خلق أو تغييب الوعي لدي الجمهور ، وكذلك دور الخطاب الإعلامي في عملية التفاعل الاجتماعي ، وقد طور ستيوارت هال مفهـوم الضمنيـة والتصريح والتغيير في اللغة ،وأكد أن المعني هو نتاج العملية الجدليـة بين النص والقارئ في سياق اجتماعي وتاريخي معين ، وخلص إلـى أن وسائل الإعلام لا تعكس الواقع وإنمـا تقـوم بإنتاجـه عـبر المعـاني والاختيارات الأيديولوجية التي تنتجها أو تروج لها.

(Hall, 1977,pp 123-129)

واستفادت بحوث تحليل الخطاب في هذه المدرسـة مـن أعمـال جوفمان Goffman، ومن النظرة متعددة الوظائف للنص التي طورهـا هاليداي ، كما اقتحمت مجالات جديدة علي يد مونتجمري حيث تنـاولت الحوارات المفتوحة مع الجمهور في برامج الإذاعة والتليفزيون وعمليـة

لتلخيص ما قاله المتحدثون ، حيث يؤكدون علي نواحي معينة ويهملون جوانب أخري ،ويري هيريتاج Heritage أن هذه الصيغ عبارة عن آداة تقنية أو فنية يستخدمها الذين يجرون الأحاديث لإدارة تلك الأحاديث في نطاق القيود التي يضطرون للعمل في ظلها . ولكن توجد اختلافات في معايير وقواعد إجراء الأحاديث نتيجة التطور الزمني وإمكانيات وخصائص كل وسيلة إعلامية والأسلوب الخاص للشخص الذي يجري الحوار، ويخلص فيركلاو إلى أن تحليل المحادثة قد أضاف مورداً جديداً إلى اللغويات الوصفية من خلال دراسة عمليات توجيه الحوار والتحكم في الموضوع وصياغة الأفكار ، لكنه تجاهل الكثير من الجوانب التي يهتم بها الوصف اللغوي حيث يركز علي التفاعل أثناء الحوار، كذلك لم يهتم تحليل المحادثة بربط خصائص اللغة والحوار بعلاقات القوة والأيديولوجيات والقيم الثقافية داخل المجتمع(**Fairclough, 1995, p 22**). ورغم هذا النقد إلا أن تحليل المحادثة قد حقق انتشاراً في السنوات الاخيرة بعد استخدامه علي نطاق واسع في دراسات تحليل المحادثات والحوارات عبر الإنترنت .

٥-تحليل الخطاب في إطار مدرسة التحليل الثقافي :-

تأسست مدرسة التحليل الثقافي العام culturgeneric analysisفي رحاب مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام في بريطانيا عام ١٩٦٤، إلا أن أصولها ربما ترجع إلى نهاية الأربعينات ومطلع الخمسينات ،ومن أبرز أعلامها ريشارد هوجارت Richard hoggert ، وتومبسون P. Thompson ، وستيورت

لتحليل الخطابات الإعلامية مع الأخذ في الاعتبار كل المستويات والأبعاد الكلية والجزئية داخل النص ، كالتنظيم العام للنص ، والفكرة الرئيسية ، والبنية التخطيطية للنص ، والبنية الجزئية والتي تشمل الكلمات وتركيب الجمل والآليات البلاغية والدلالات اللفظية والقيم الإخبارية ... الخ .

وركز فان ديك علي عملية إنتاج واستقبال النصوص وفق نموذج إدراكي أطلق عليه البنية أو البنيات الفوقية superstructures التي تسكن النصوص الإعلامية , في الوقت ذاته فإن النصوص الإعلامية تعتبر مركز تجمع ووسيلة إظهار لهذه البنيات الفوقية ، من هنا اهتم فان ديك بدراسة الخطاب السياسي والأيديولوجية المعلنة والمضمرة التي يحملها الخطاب الإعلامي بكافة أشكاله.

(Fairclough,2000, pp 163-195)

ويرى فيركلاو أن فان ديك قام بتطوير نموذج لتحليل الأخبار المنشورة في الصحف بصفة خاصة باعتباره خطاباً مكوناً من ثلاثة أبعاد هي النص ، وممارسة الخطاب ، والممارسة الاجتماعية الثقافية ، ويعتبر التركيز علي ممارسة الخطاب وسيلة لربط التحليل النصي بالتحليل الاجتماعي – الثقافي ، ويتابع أن أبحاث فان ديك مثل الدراسات السميولوجية الاجتماعية أنجزت انتقالاً مهماً من تحليل النص– وهو مجال اهتمام اللغويات النقدية – إلى تحليل الخطاب.

(Fairclough,1995, p 29)

وتلعب الأيديولوجية دوراً جوهرياً في المنهجية التحليلية لفان ديك ، فالأيديولوجيات من وجهة نظره هي أطر تفسيرية تقوم بتنظيم المواقف ،

وتعتبر أيضاً أساساً للإدراك ، واهتم فان ديك بقضايا التمييز الإثني في الصحافة سواءً في إطار الثقافة الواحدة أو بين ثقافات متعددة ، كما ركز علي قضايا الإدراك متأثراً بمفهوم فيسك Fiske عن الإدراك ، حيث أشار إلى أن الصحفيين ومستخدمي وسائل الإعلام يملكون نماذج ذهنية بشأن العالم ، وبالتالي يكون النص في الواقع مثل جبل ثلجي من المعلومات ، وقمة هذا الجبل هي فقط التي يعبر عنها فعلياً بالكلمات والجمل ، أما الباقي فيفترض أنه مكون من الكلمات والصور المكتوبة والنماذج المعرفية لدي مستخدمي وسائل الإعلام ، وبالتالي يترك عادة دون الإفصاح عنه. **(Delinger,1995)**

والشاهد أن فان ديك ركز علي الخطاب الإعلامي المنشور في الصحف أكثر من بقية وسائل الإعلام ،خاصة التليفزيون ، كما ركز علي التحليل اللغوي وأهمل عملية التناص ،أي كيفية بناء النصوص من خلال تكوينات الخطابات والأنواع الأدبية ، كذلك إهتم بممارسات صنع الأخبار واستقبالها باعتبارها عملية مستقرة تسهم في إعادة إنتاج علاقات الهيمنة وأيديولوجيات التمييز ، غير أنه لم يهتم بتنوع وعدم تجانس تلك الممارسات **(Fairclough, 1995 , p 30)** . إلا أن إسهامه المهم تمثل في تحديده لمفهوم وأبعاد التحليل النقدي للخطاب وعلاقاته بالدراسات اللغوية وبالنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، وإقراره بتعدد مجالاته وتنوعها ، ومن ثم ضرورة استخدام مناهج وأطر نظرية تكاملية .

(Van Dijk,1998)

٧- المدرسة الألمانية في تحليل الخطاب الإعلامي :

ظهرت في إطار الجامعات الألمانية مدرستان نقديتان في تحليل الخطاب الإعلامي ، ربما كان أهم ما يميزهما عن المدارس الفرنسية والبريطانية اهتمامهما باللغة والبلاغة وبالإستراتيجيات الجدلية داخل الخطاب، وتعرف المدرسة الأولى بمدرسة ديوسبرج The Duisberg School وارتبطت بسيجموند ييجر Siegfried Yager الذي تأثر بأعمال ميشيل فوكو وبمدرسة فرانكفورت وباللغويات النقدية ،وقد أسس منهجه في التسعينات من القرن الماضي علي نقد لكل من البحث اللغوي التقليدي والبحث الاجتماعي ، فاللغويون – كما يقول – يركزون بحثهم بصفة رئيسية علي النواحي الشكلية للغة دون الانتباه إلى مضمون النصوص والممارسة الخطابية والمحيط الاجتماعي والثقافي للنصوص، كما انتقد البحوث الاجتماعية الكيفية لافتقارها إلى نظرية أو طريقة بحث محددة لتأويل النصوص ،ثم اعتمد ييجر علي مقولات المدرسة الثقافية التاريخية التي أسسها عالم النفس الاجتماعي فيجوتسكي في تطوير نظرية تعيد تعريف العلاقة بين الفعل acting والتفكير والاتصال ، والعلاقة بين الفرد والمجتمع ، وأكد ييجر أن النصوص ليست شيئاً فردياً فقط ، وإنما تمثل دائماً شيئاً اجتماعياً ، فالنصوص أجزاء من خطابات فوق فردية ،وكما ذهب ميشيل فوكو يري ييجر أن أجزاء الخطاب سواء كانت نصوصاً أو أجزاء من نصوص يمكن أن تشكل سلسلة خطابية يمكن وضعها علي مستوي خطابي واحد أو عدة مستويات خطابية – علي سبيل المثال في السياسة ، والتعليم ، والإعلام – وبالتالي تمثل السلاسل الخطابية تدفقا للأجزاء الخطابية عن

نفس الموضوع .

ويري ييجر أن تحليل النص هو أول تحليل للخطاب إذا اعتبرنا أن النصوص هي أجزاء من خطاب تمتد جذوره اجتماعيا وتاريخيا ، كما يؤكد أن تحليل الخطاب يهدف إلى فك الاشتباك بين نصوص وخطابات معينة لأن النصوص والخطابات المختلفة تتداخل وتخلق توتراً خطابياً ، ويقترح ييجر التركيز علي تحليل العقد الخطابية أو النصوص المركزية في سلسلة خطابية لأن هذه النصوص سابقة زمنياً في السلسلة الخطابية أو تتناص مع خطابات أخرى . ويؤكد ييجر أن إجراءات تحليل الخطاب يجب أن تظل كيفية ، كما ينفي وجود وصفة أو إجراءات روتينية يمكن تطبيقها عالمياً عند تحليل الخطاب، لكن يجب أن يصمم تحليل الخطاب لكي يكون متفقاً مع اهتمامات البحث وأهدافه ومضمون الخطاب محل التحليل ، في ضوء ذلك يقترح ييجر أن يشمل تحليل الخطاب تحليل البنية الكلية للخطاب ، وتحليل السياق اللفظي ، وغير اللفظي ، والتحليل اللغوي علي المستوي الجزئي للنص ، وأخيراً التحليل النهائي للرسالة والجمهور المستهدف والإطار الأيديولوجي والاجتماعي للخطاب والملامح اللغوية لفهم الخطاب والآثار المقصودة (Langer,1998).

أما المدرسة الألمانية الثانية فتعرف بمدرسة فيينا ، وترتبط بأعمال أستاذة اللغويات التطبيقية روث فوداك Ruth Wodak التي تعتبر أشهر من يمارس تحليل الخطاب علي المستوي العالمي في الدول الناطقة بالألمانية ، وتقيم فوداك في فيينا وتكتب أبحاثها بالألمانية والإنجليزية والفرنسية ، ويعتمد منهجها لتحليل الخطاب علي الأبحاث اللغوية

الاجتماعية ، وأعمال مدرسة فرانكفورت وميشيل فوكو ، بالإضافة إلـــى الدراسات الثقافية لستيوارت هال ، ونظرية رأس المال الرمـــزي لعـــالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو ، كما استفادت فوداك من أعمال عالم اللغة الألماني يوتس ماس Utz maas- أثرت أعماله أيضـــاً فـــي مدرســـة ديوسبرج - الذي يعرف الخطابات بأنها أشكال لغوية ترتبط بالممارســـة الاجتماعية ويجب بحثها من نواحي التاريخ وعلم الاجتماع ، مع الاهتمام بالبعد البلاغي والتأويلي. أما فوداك فتميز بين ثلاثة مستويات من التحليل هي : المضمون والإستراتيجيات الجدلية والملامح اللغوية ، كما تؤكـــد على أهمية البحث في تاريخ الخطابات من خلال منهج متعدد المستويات ، ولذلك تجمع أعمال مدرسة فيينا بين التحليل التـــاريخي والكمـــي علـــي مستوي الخطاب والممارسة الاجتماعية ، وبين التحليـــل الكيفـــي علـــي المستوي الجزئي النصي. **(Langer , 1998 - Delinger,1995)**

ولعل أهم ما يميز أعمال روث فوداك ومدرسة فيينا هو الإهتمـــام بالبعد التاريخي للخطاب وبالإستراتيجيات الجدلية والملامح اللغوية ، لكن الطابع العام لتلك المدرسة يقترب من حقل اللغويات أكثر من حقل تحليـــل الخطاب الإعلامي ،حيث تمنح فوداك الأولويـــة للتحليـــل اللغـــوي مـــع الإعتراف بأهمية النواحي التاريخية والاجتماعية ، ذلك أن التأكيد علـــى كل من بنية نصوص الإعلام وسياقها الاجتماعي يمكن أن يساعد الباحثين النقديين علي تغيير طبيعـــة الرســـائل الأيديولوجيـــة أو الكشـــف عـــن الإعتبارات التي تؤثر في بنية هذه الرسائل .

(Wodak, 1999,pp, 185-193)

٨- التحليل النقدي للخطاب لنورمان فيركلاو :-

من حقل الدراسات اللغوية انتقل عالم اللغة الإنجليزي نورمان فيركلاو Norman Fairclough إلى تطوير نموذج للتحليل النقدي لكافة أشكال الخطاب بما فيها الخطاب الإعلامي ، ثم قام مؤخراً بتوسيع مجال عمل نموذجه التحليلي بحيث يشمل كافة مجالات البحوث الاجتماعية ، فالتحليل النقدي للخطاب هو تحليل للعلاقات الجدلية بين الخطاب – والذي لا يشمل اللغة فقط بل والسميولوجيا والصور المرئية – وكل عناصر الممارسة الاجتماعية ، ومع ذلك يؤكد فيركلاو أن التحليل النقدي للخطاب يهدف إلى توضيح كيف أن التغييرات في استخدام اللغة تعكس التغييرات الإجتماعية – الإقتصادية والتي ترتبط بعلاقات القوة والهيمنة في المجتمع ، لذلك يدعو فيركلاو علماء الاجتماع إلى تجديد أفكارهم ومناهجهم وأدواتهم البحثية لدراسة الخطاب.

(Fairclough , 2000)

وبغض النظر عن نتائج تلك الدعوة ،تكتفي الدراسة الحالية بعرض ومناقشة أعمال فيركلاو في علاقتها بالخطاب الإعلامي ، حيث يمكن القول بأن فيركلاو تأثر بشكل واضح باللغويات النقدية وبأعمال ميشيل فوكو وأعمال غرامشي عن الهيمنة الإيديولوجية ، إضافة إلى تأثره الواضح بعالم الإجتماع الفرنسي بيير بورديو ،ويتفق فيركلاو مع علماء اللغة جزئياً في تعريفه للخطاب ، ثم يؤكد اختلافه معهم ، فالخطاب هو اللغة المستخدمة لتمثيل ممارسة إجتماعية من وجهة نظر معينة ، والخطابات تشكل وتعيد إنتاج الهويات الإجتماعية والعلاقات الإجتماعية

وتمثل نظم المعرفة لمستخدم اللغة ، ويعتبر كل خطاب جزءاً من نظـــام خطابي داخل مؤسسة معينة أو مساحة معينة من المجتمع ..ويضع التحليل النقدي للخطاب تصوراً للممارسات الخطابية لمجتمع معين – أي الطرق المعتادة لإستخدام اللغة من هذا المجتمع – باعتبارها شـــبكات معينـــة ، أطلق عليها أنظمه الخطاب ، ويتكون نظام الخطاب لمؤسسة إجتماعية أو مجال اجتماعي معين من كافة الأنماط والممارسات الخطابية المستخدمة في تلك المؤسسة أو ذلك المجال ..كذلك تعتبر نظم الخطاب مجالاً وبؤرة للصراع والنزاع الإجتماعي وأحد مجالات الهيمنة الثقافية .

ووفقا لنموذج فيركلاو فإن تحليل أي نمط معين من الخطابات ، بما في ذلك الخطاب الإعلامي يتضمن تناوب التركيز علي جانبين مترابطين و متكاملين هما : الأحداث الإتصالية ، ونظام الخطاب ، ويشمل الجـــانب الأول علي تحليل للعلاقات القائمة بين ثلاثة أبعـــاد أو ملامـــح للحـــدث الإتصالي هي:

- نص : قد يكون مكتوباً أو شفوياً ،والنصوص الشـــفوية قـــد تكـــون مذاعة فقط أو مذاعة ومرئية كما في التليفزيون ، وفي هذا المستوي يجب تحليل المعجمية ، مفردات اللغة ، ودلالات الألفـــاظ ،والنحـــو وصوتيات النص ونظام كتابتـــــه ، وكذلـــك التماســـك المنطقـــي ، والتركيبات النصية والوظائف المختلفة لكل جملـــــة ،وســـيميولوجيا النص من كافة النواحي ، وما ينتجه كل ذلك مـــن معـــاني متعـــددة ومختلفة ، سواء كانت معلنه أو مضمرة .
- ممارسة الخطاب: يقصد به تحليل عمليات إنتاج النص واستهلاكه ،

بلورة أطر نظرية واضحة والاتفاق على إجراءات منهجية محددة لعملية تحليل الخطاب الإعلامي ، علي الرغم من تبلور تيار يدعو إلي التأليف بينها أو استعارة بعض المفاهيم التحليلية واستخدامها، أو إعادة تعريفها واستخدامها في سياقات جديدة . ويبدو أن غياب الاتفاق بين مدارس تحليل الخطاب يرجع الي اختلاف وتباين التخصصات ومجالات الدراسة والرؤى الفكرية والمعرفية للمنتمين لهذه المدارس ،أوربما أصبح الاختلاف وعدم الاتفاق أحد مظاهر عصر ما بعد البنيوية أو عصر ما بعد الحداثة الذي نعيشه، والذي يؤكد إيهاب حسن على أن اللاحسم والذاتية هما أبرز سمتين لهذا العصر (بيتر بروكر ، ١٩٩٥،ص ص٢٩-٣١) ، ومع ذلك يمكن رصد أهم نقاط الاختلاف والاتفاق بين مدارس تحليل الخطاب ممثلة في :-

١- باستثناء الدراسات اللغوية التقليدية التي استخدمت مفهوم الخطاب ، يلاحظ الباحث حضوراً مؤثراً وقوياً لمنهجية ميشيل فوكو ومفاهيمه الأساسية في تحليل الخطاب الإعلامى، مع وجود اختلاف في درجة اعتماد كل مدرسة على منهجية فوكو ، في هذا الإطار يمكن القول بأن مدارس تحليل الخطاب الألمانية أكثر تأثراً بمنهجية ميشيل فوكو، مقارنة بأعمال فيركلاو وفان ديك ، وقد نجح الأخير في دمج وتطوير البعد الإدراكي في عملية تحليل الخطاب ، بينما لفت فيركلاو الانتباه إلى أهمية تحليل ممارسات إنتاج النصوص الإعلامية واستهلاكها ، أي استقبال الجمهور وتفاعله مع الخطاب الإعلامي ، فضلاً عن اهتمامه بعملية بناء النصوص والخطابات الإعلامية .

والنواحي النفسية والإدراكية الخاصة بكيفية توصل الأفراد إلى تأويلات معينه أو ما يعرف بالعمليات التأويلية .إضافة الي تحليل التناص والذي يهدف إلى الكشف عن كيفية تشكل واستخدام النصوص وتشابك الأنواع الأدبية والخطابات المختلفة الممزوجة في النص ، والتي قد تتضمن استخداماً تقليديا لأنماط موجودة بالفعل أو استخداماً إبداعيًا أو مزجًا بينهم .

- ممارسة إجتماعية ثقافية للتيارات الإجتماعية والثقافية السائدة والتي يشكل الحدث الإتصالي جزءًا منها ، ويتناول التحليل هنا مستويات مختلفة منها السياق المباشر للحدث أو السياق الأوسع نطاقا للممارسات المؤسسية ، ويمكن تناول الكثير من جوانب الممارسة الإجتماعية الثقافية لعل أهمها الجانب الاقتصادي ،والسياسي المتعلق بقضايا القوة والأيديولوجية ، علاوة علي الجانب الثقافي المرتبط بالقيم والهوية . **(Fairclough, 1995)**

ورغم أهمية نموذج فيركلاو إلا أنه يعتبر نوعًا من التفكير النظري المجرد حيث لم يختبر علي نحو جاد ، ولم يستخدمه سوي عدد محدود من البحوث والدراسات ، وهذا الوضع يختلف عن منهجية ميشيل فوكو في تحليل الخطاب والتي ربما اكتسبت طابعًا عمليًا تطبيقيًا عميقاً وشاملاً ساعد في تطوير وتجديد مكوناتها النظرية .

<u>ملاحظات حول تحليل الخطاب الإعلامي :-</u>

لعبت مدارس الخطاب السابقة دوراً مهماً في التقريب بين تحليل الخطاب من ناحية ، ودراسة الإعلام من ناحية ثانية ، لكنها لم تنجح في

٢- إن التوجه النقدي في تحليل الخطاب -والذي أصبح أحد أهم السمات الهيكلية لمدارس تحليل الخطاب – ارتبط بالتأثر الواضح بمدرسة فرانكفورت ومدرسة التحليل الثقافي وأعمال ميشيل فوكو، وأخيراً أعمال عالم الإجتماع الفرنسي بيير بورديو، وقد تجسد هذا التوجه النقدي في التركيز علي دراسة علاقات السلطة والهيمنة داخل المجتمع والأيديولوجية ، وكذلك اختيار موضوعات للدراسة التطبيقية ذات طابع اجتماعي وسياسي مؤثر ، مثل قضايا التمييز العنصري والتمييز ضد المرأة وضد الأقليات والفئات المهمشة في المجتمع .

٣- تلعب الأيديولوجية دوراً مهماً في التحليل النقدي للخطاب ، فاللغة اختيارات أيديولوجية ، كما أن الخطاب ممارسة ذات طابع أيديولوجي من حيث التكوين والتأثير ، مع ملاحظة أن مدارس تحليل الخطاب استخدمت مفهوماً للأيديولوجية والسيطرة الأيديولوجية أقرب ما يكون للغرامشية الجديدة ، حيث يتفق فان ديك وروث فوداك و فيركلاو علي أن ممارسة القوة في المجتمعات الديمقراطية الحديثة لم تعد تعتمد علي الإكراه بالدرجة الأولى بل علي الإقناع ، أي أصبحت عملية أيديولوجية بالمعني الغرامشي ، ويري فان ديك أن الأيديولوجية هي أطر تفسيرية كما تعتبر أساساً لإدراك المواقف الاجتماعية (**Delinger,1995**)

٤- رغم أهمية الأعمال التحليلية للخطاب الإعلامي التي قدمت في إطار مدارس تحليل الخطاب إلا أنها تظل قليلة نسبياً من حيث الكم

والنوع ، وبالتالي فإن كثيراً من المفاهيم التحليلية التي استخدمت لم تختبر علي نطاق واسع ، خاصة المفاهيم التي اعتمد عليها فيركلاو والتي لم يستخدمها إلا في تحليل عينات محدودة ، اختارها بدون توضيح لأسباب ومبررات هذا الاختيار ، من جانب آخر فإن أغلب دراسات تحليل الخطاب الإعلامي ركزت علي خطاب الصحافة المنشورة ، ولم تمنح الخطاب الإعلامي في الإذاعة و التليفزيون اهتماماً مماثلاً ، ربما لصعوبات تتعلق باختيار العينات ، وتحليل الصوت و الصور.

٥- يمكن القول بأن مدراس تحليل الخطاب اعتمدت علي عينات صغيرة من المواد الإعلامية ، خاصة المواد المنشورة في الصحف ،واعتبرت نفسها نوعاً من التحليل الكيفي ، ومن ثم لم تهتم بالمؤشرات الكمية (**Curtin, 1996**) ، بل ركزت علي الفهم والتأويل ، انطلاقا من فكرة مهمة عبر عنها ييجر- استناداً إلى ميشيل فوكو – وتدعو إلى ممارسة التحليل وفهم الخطاب من خلال التعرف علي القواعد والإجراءات الروتينية الخطابية في كل جزء من الخطاب ، وبالتالي يمكن حل مشكلة التعميم النمطي عن طريق الاستمرار في تحليل الأجزاء المختلفة من الخطاب (العقد الخطابية والنصوص المركزية) حتى لا يوجد شيء يمكن العثور عليه بواسطة هذا التحليل ،ويؤكد ييجر أن تجاربه الذاتية في مجال الدراسات التجريبية تشير إلى أنه بعد تحليل عدد قليل من أجزاء الخطاب لا توجد معلومات أو ملاحظات جديدة (**Langer, 1998**).

٤- تأثير السياسة الخارجية للدولة في المعالجة الصحفية للشئون الدولية، دراسة مقارنة للصحافة المصرية خلال الفترة من ١٩٩٠-١٩٩٢، رسالة ماجستير ، إعداد : هشام عطية عبد المقصود محمد ،١٩٩٥

٥- علاقة النخب السياسية المصرية بالصحافة وتأثيرها في أنماط الأداء الصحفي في التسعينات ، رسالة دكتوراه ،إعداد :هشام عطية عبد المقصود محمد ، ١٩٩٨

٦- الخطاب الديني في الصحف المصرية خلال الفترة ما بين عامي ١٨٨٢-١٩١٤ ، رسالة دكتوراه ، إعداد : محمد احمد يونس،٢٠٠٠

٧- التغطية الصحفية الغربية لشئون العالم الإسلامي خلال عقد التسعينات ،رسالة دكتوراه ، إعداد : محمد حسام الدين إسماعيل ،٢٠٠١

٨- صورة مصر في الخطاب الصحفي لمراسلي الصحف ووكالات الأنباء العربية العاملة في مصر خلال الفترة من ١٩٩٠-١٩٩٦، إعداد: وائل محمد عارف قنديل ، رسالة دكتوراه ،٢٠٠٢

٩- موقف الصحافة المصرية من الثورة العرابية في الفترة من ١٨٧٧-١٨٨٢، إعداد : محمد عبد الحفيظ الباز ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٣

ومن خلال قراءة وتحليل الرسائل السابقة، فضلاً عن خبرة الباحث الشخصية ومعايشته عن قرب لظهور تلك الدراسات وغيرها ، تتكشف مجموعة من المعلومات والحقائق لعل أهمها :-

١- ترجع بداية ظهور واستخدام مفهوم الخطاب ومناهج تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية المصرية إلى نهاية الثمانينيات من القرن العشرين ، وهي بداية متأخرة زمنيا مقارنة بالدراسات الإعلامية الأوربية التي استخدمت تحليل الخطاب ، لكن يمكن القول أن هذا التأخير يرجع إلى هيمنة مناهج وأدوات التحليل الكمي ، واعتبارها داخل المؤسسة التعليمية التجسيد الوحيد للبحث العلمي في الدراسات الإعلامية التي تتناول تحليل النصوص والرسائل الإعلامية ،من هنا واجهت المحاولات الأولى لاستخدام تحليل الخطاب مقاومة عنيفة وانتقادات واسعة ، حيث اعتبرت نوعا من التمرد أو الخروج عن التقاليد العلمية السائدة التي تنتمي إلى الوضعية والسلوكية بمدارسها المختلفة ونزعتها إلى التعامل الكمي والإحصائي مع النصوص والرسائل العلمية معزولة عن سياقها الاجتماعي والسياسي والتاريخي ، أي التعامل مع النص بمعزل عن شروط إنتاجه وتداوله واستهلاكه ، كما نظر البعض إلى محاولات استخدام تحليل الخطاب بوصفه نوعاً من الرغبة لدي الباحثين الشباب في الاختلاف أو تقليد الجديد دون فهم أودراية كاملة بمناهج تحليل الخطاب وخلفياته الفلسفية والمعرفية.

٢- ارتبط استخدام تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية بجيل جديد من الباحثين الشبان الذين حاولوا تقديم إضافة جديد تتجاوز ما هو سائد في حقل تحليل النصوص والرسائل الإعلامية كما تعاملوا معها بوصفها خطاباً . ولاشك أن هذا الجيل استفاد من تشجيع أساتذة كبار كانت لهم انتقادات واسعة لتحليل المضمون الكمي ودعوا لتجاوزه والبحث عن أدوات ومناهج تحليل جديده ، في مقدمتهم خليل صابات

لكن ربما كان فان ديك الوحيد الذي خرج في محاولاته البحثيـــة التطبيقية عن التوجه السابق ، وقام باختيار عينات كبيرة نسبية ،ركـــز فيها على الأفكار العامة والبنيات الكلية للنصوص، وحاول مـــن خـــلال تحليلها التوصل إلى مؤشرات كمية وكيفية ، ويري الباحث أن محـــاولات فان ديك اقرب إلى المناهج الإجرائية التقليدية كما أنها حالت دون التعمق في دراسة النصوص الإعلامية وسبر غور الخطـــاب الإعلامـــي الـــذي يختلف عن بقية أنواع الخطابات في المجتمع من عدة أوجه لعل أهمهـــا: عمليات وظروف الإنتاج ، والتوزيع ، وعمليات الاســـتقبال أو التلقـــي ، والتي تتوقف بدورها على طبيعة الخطاب الإعلامي وهل هو مقـــروء أم مسموع أم مرئي **(Fairclough, 1995)**

٦- مهما يكن من أمر الاتفاقات أو الاختلافـــات بيـــن مـــدارس تحليـــل الخطاب فإن منهجية تحليل الخطاب الإعلامي بـــات تقليـــداً علميـــا معترفاً به ومتناميًا ، ويكتسب كل يوم أرض جديدة رغم عدم وضوح مفهوم الخطاب وتضارب واختلاف المفاهيم والأطر النظرية الخاصة بتحليل الخطاب، لكنه وبشكل عام يعتمد علي عدة علوم اجتماعيـــة كما يدمج بين المساهمات الحديثة والنقديـــة فـــي مجـــال اللغويـــات واللغويات التطبيقية والنقد الأدبى ، كما يزاوج بين التحليل اللغـــوي والسميولوجي ،ويستفيد من الاتجاهـــات الحديثـــة فـــي التـــأويل ، والتيارات النقدية في علم الاجتماع والانـــثربولوجى ، والدراســـات الثقافية ، وعلم النفس الاجتماعي . ،

من جانب آخر يمنح منهج تحليل الخطاب الخطاب الإعلامي أهمية

خاصة ، وفي الوقت نفسه يراعي خصوصيته من زاوية تعـــدد أشـكاله ومضامينه سواء كان مكتوبًا أو مذاعًا أو مرئيًا ، بالإضافة إلـــى علاقتـــه الجدلية بالمجتمع ، فهو لا يعكس الواقع أو علاقات القوة والهيمنـــة فـــي المجتمع فقط ، وإنما يساهم في بنائها عبر عمليات التناص بين الخطابات والتفاوض بينها ، ولاسيما التفاوض بين منتج الخطاب والجمهور الـــذي يستقبله ، كما يلعب الخطاب الإعلامي دورًا مؤثرًا في بنـــاء العلاقـــات الإجتماعية وتحديد الهويات الإجتماعية والثقافية ، فهو عمليـــة مســتمرة ومعقدة تتفاعل فيها وعبرها قوي ومتغيرات محلية ودولية تعكس أوضاع المجتمع وثقافته والمرحلة التاريخية التي يعيشها .

تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية العربية :-

وقع إختيار الباحث علي تسع دراسات مصرية كنموذج للدراسات العربية التي استخدمت منهجية تحليل الخطاب في مجال الإعلام ، كـــان من بينها أربع رسائل للماجستير ،وخمس رسائل للدكتوراه ،هي :-

١- إنقرائية الخبر الصحفي اللغوية : بالتطبيق علي الخبر الصحفي فـــي جرائد الأهرام والجمهورية خلال عـــام ١٩٧٨،رســالة ماجســتير، إعداد: محمود إبراهيم خليل ،١٩٨٩

٢- تطور فكرة القومية العربية في الصحافة المصرية ١٩٢٤- ١٩٥٢، رسالة ماجستير ، إعداد :محمد علي شومان،١٩٩٠

٣- التطور الأسلوبي والدلالي للغة الصحافة اليومية فـــي الفـــترة مـــن ١٩٦٠-١٩٨٠،رسالة دكتوراه ،إعداد : محمـــود إبراهيـــم خليـــل ١٩٩٣،

ومختار التهامي ،ولعل الكتاب الجماعي للأساتذة عواطف عبد الرحمن ونادية سالم وليلي عبد المجيد قد عكس هذه الدعوة وجسدها ، وقدم وبشكل عملي أول دعوة وممارسة عملية لتجاوز الأدوات والمناهج السائدة .(عبد الرحمن وآخرون ،١٩٨٤) لاسيما وأن الثلاثة كن قد مارسن تحليل المضمون الكمي ثم انتقدنه بعد أن اكتشفن العديد من نقاط ضعفه وجوانب قصوره ، وقد اهتمت عواطف عبد الرحمن بالدعوة إلى إعادة الاعتبار للتحليل الكيفي والانفتاح علي مساهمات المدارس الفرنسية والأوربية في تحليل المضمون وعدم الاكتفاء بالمدرسة الكمية التقليدية التي وضع أساسها بيرلسون .

٣- أن معظم الدراسات الإعلامية التي استخدمت تحليل الخطاب تناولت نصوص أو مضامين صحفية ، أي ما يعرف بخطاب الصحافة المطبوعة بينما أهملت تحليل الخطاب الإعلامي المسموع والمرئي في الإذاعة والتليفزيون ، وكذلك أهملت الخطاب الإعلاني(الإشهاري) والذي يجمع بين النص الصورة والنص المقروء . وذلك رغم التطور الكبير في تحليل خطاب الصورة والذي أحرزته مدارس تحليل الخطاب الأوربية ، و يمكن تفسير ذلك في ضوء صعوبات عملية تحليل الخطاب المسموع والمرئي ،وعدم توافر أطر نظرية وتقاليد بحثية راسخة،في مجال تحليل الخطاب تستطيع أن تتعامل مع هذه الصعوبات ، من هنا ربما كان البدء بتحليل الخطاب الصحفي المطبوع والمقروء في مصر أسهل على الباحثين الذين يقتحمون مجالاً جديداً ، في هذا السياق تعتمد عينة الدراسة الحالية علي دراسات تحليل الخطاب الصحفي فقط ، حيث لم يجد الباحث رسائل

علمية في كلية الإعلام تناولت تحليل الخطـــاب المســـموع والمرئـــي وتنطبق عليها شروط اختيار عينة الدراسة .

٤- رغم إقتصار الدراسات التي استخدمت تحليل الخطاب علي الخطاب الصحفي ، إلا أنه يوجد تعدد وتنوع في موضوعات ومجالات هذه الدراسات ، ولعل عينة الدراسة تكشف عن هذا التنوع ، فقد ركـــزت أربع دراسات على قضايا مهنية تتعلق بالأداء الصحفـــي (**خليـــل** ، ١٩٨٩، ١٩٩٣)،(**محمد**، ١٩٩٥)،(**قنديل**، ٢٠٠٢)، بينما تنـــاولت دراستان موضوعات ذات طابع فكري تاريخي ، وتتعلـــق تحديـــداً بتاريخ الأيديولوجية ،(**شومان** ،١٩٩٠، **يونـــس**، ٢٠٠٠) حيـــث اختصت الأولى بالخطاب القومي العربي في الصحافـــة المصريـــة ، بينما اختصت الثانية بالخطاب الدينـــي فـــي الصحافـــة المصريـــة ،وتناولت إحدى الدراسات تأثير السياسة الخارجية للدولة في المعالجة الصحفية للشئون الدولية (**محمد**، ١٩٩٥) بينما اهتمت دراسة محمـــد حسام ومن منظور عبر ثقافي مقارن علي التغطية الصحفية الغربية لشئون العالم الإسلامي في التسعينات (**إســـماعيل**، ٢٠٠١) ، وقـــد شاركه في المنظور نفسه وائل قنديل (**قنديل** ،٢٠٠٢)، أمـــا دراســـة الباز فقد اتخذت موضوعاً تاريخياً يتعلق بموقف الصحافة المصريـــة من الثورة العرابية ١٨٧٧-١٨٨٢(**الباز** ،٢٠٠٣) .

وبمقارنة موضوعات الدراسات العربية مع التراث العلمـــي فـــي مجال تحليل الخطاب الصحفي يجد الباحث أن ثمة اتفاق واضح بينهـــا، فتاريخ الفكر والأيديولوجيا ، ولغة الصحافة وكذلك الصور المتبادلة بيـــن

الشعوب كلها موضوعات مشتركة تناولتها الدراسات الأوربية والعربية ، وذلك رغم قصور مستوي التحليل ومنهجيته في الدراسات العربية ، واعتماده علي حجم كبير من العينات .

٥- ضعف ومحدودية الأطر النظرية والمنهجية التي اعتمدت عليها الدراسات العربية في مجال تحليل الخطاب ، إذ خلت تلك الدراسات من العرض التحليلي الشامل لمدارس تحليل الخطاب الإعلامي ، وغابت بعض المدارس عن دائرة اهتمام الدراسات العربية ، فعلي سبيل المثال لم تظهر مدارس تحليل المحادثة ، والتحليل السميولوجي ، كما لم تظهر المساهمات الألمانية وكذلك مساهمات الباحثين في الدول الاسكندنافية .

من جانب آخر فإن تبني بعض مدارس وأدوات تحليل الخطاب جاء منفصلاً عن الفلسفات أو الرؤى الكلية التي ظهرت تلك المدارس في إطارها ، أي أن الخلفية المعرفية تكاد تكون غائبة أو غير واضحة ، ربما باستثناء دراستي محمود خليل للماجستير والدكتوراه حيث اعتمد فيهما علي اللغويات واللغويات النقدية ،و استخدم على وجه التحديد التحليل الأسلوبي والتحليل الدلالي مع ربطهما بالسياق المجتمعي (خليل، ١٩٨٩ – ١٩٩٣) ورغم أهمية دراستي خليل إلا أنهما لم تتجاوزا حدود التحليل اللغوي وعيوبه التي تعرضت لها هذه الدراسة في موضع آخر .

أما دراسات شومان وهشام عطية ومحمد حسام الدين فقد عرضت لبعض مدارس تحليل الخطاب لكنها لم توضح بشكل كاف الخلفية المعرفية لهذه المدارس ، كما لم تقدم إطارا نظرياً متماسكاً بل إن الدراسات الثلاث

ربما تكون قد قدمت وبدرجات متباينة خلطًا مفاهيميًا ونظريًا ، فدراسة شومان التي حاول فيها- ولأول مرة - تجاوز مدارس التحليل اللغوي والدلالي للخطاب الصحفي ، جمعت بدون وعي معرفي ومنهجي بين بنيوية ميشيل فوكو وتأويلية بول ريكور ومساهمات دومينيك ما نجينو Maingueneau، رغم ما بينهم من خلافات ، وقد أدى هذا الخلط المعرفي والمنهجي إلى اعتماد الدراسة نوعاً من تحليل الخطاب يجمع بين المؤشرات الكمية والكيفية (**شومان، ١٩٩٠**) أما دراستي هشام عطية للماجستير والدكتوراه فقد قدمتا تحليلاً أدق وأعمق من دراسة شومان غير أنهما وقعتا في نفس الخلط النظري و المفاهيمي ، (**محمد ١٩٩٥-١٩٩٨**)، ونجح محمد حسام في الاطلاع على عدة مدارس لتحليل الخطاب، كما كان له فضل عرض أعمال فيركلاو غير أنه لم يستفد من هذا العرض في بلورة إطار نظري أو تطوير أدواته التحليلية .

(إسماعيل ٢٠٠١)

والمفارقة أن الدراسات الأحدث وقعت في نفس الأخطاء السابقة ، كما لم تقدم جديداً على صعيد بلورة مفاهيم أو أطر نظرية لتحليل الخطاب الصحفي ، بل اعتمدت في الغالب على الدراسات العربية السابقة، ومن ثم نقلت الكثير من جوانب قصورها (**يونس وقنديل والباز**)، وتجدر الإشارة إلى أن محاولة يونس إعادة تعريف الخطاب بطريقة انتقائية وعلى أسس لغوية تراثية استناداً إلى أعمال سيف الدين الأمدي ، والإمام الجويني ، ثم تمييزه بين الخطاب بالمفهوم الشرعي والخطاب الديني ، لكنه اختزل الأخير بطريقة تعسفية في مجموعة

المقولات والتصورات والرؤى التي تطرحهـا الجماعـة الصحفيـة إزاء قضايا المجتمع مستندة إلى الدين الإسلامي بشكل مباشر أو غير مباشـر (يونس , ٢٠٠٠، ص ص٤-٧) أي انه تجاهل حقيقة وجـود خطـاب صحفي للأقباط واليهود المصريين ، واختزل الخطاب الديني في مصر في الخطاب الإسلامي فقط .

٦- تعكس مدارس تحليل الخطاب في العالم حالة من عدم الاتفاق والجدل حول مفهوم الخطاب ، وهل هو نظرية أو منهج ، كما تعكس تعـدداً في استخدام أدوات وطرق تحليل الخطاب ، وحدود هـذا التحليـل، ومثل هذه الحالة لا تعكسها الدراسات العربية التي استخدمت تحليـل الخطاب ، فثمة اختلافات ولكن من دون جدل أو نقاش علمي ، كمـا أن أغلب هذه الاختلافات تفتقر إلى الأسس النظرية والمعرفية فضـلاً عن محدودية الممارسات والتطبيقات العملية التي يمكن الاعتماد عليها في إثراء الجدل والنقاش العلمي .وربما يمكن تفسـير ذلـك فـي أن مستوى ونوع الدراسات العربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي لم ترتبط بوضوح بمدارس تحليل الخطاب الأوربية ، ولم تتواصل معها أو حتى تنقل عنها بوضوح ، بمعني أنها كانت مجرد ظـلال غـير محددة الأبعاد لبعض تلك المدارس .

٧- أن الضعف النظري والمنهجي في الدراسات العربية التي شكلت عينة هذه الدراسة يتجسد في عدة مستويات تفصيلية تتعلق بـ :-

- الاعتماد على عدد محدود من المصادر والمراجع التي تكررت فـي الدراسات العربية وتناقلتها إما عن لغاتها الأصليـة أو مترجمـة ،

بالإضافة إلى النقل والاقتباس عن دراسات تحليل الخطاب الإعلامي في صورة اقرب ما تكون إلى إعادة إنتاج الشيء نفسه بكل إيجابياته وسلبياته .

- باستثناء دراستي خليل اللتان اعتمدتا علي نظريات التحليل اللغوي مع استخدام التحليل الأسلوبي والدلالي ، استخدمت عينة الدراسات العربية في تحليل الخطاب مسار البرهنة ، وتحليل القوي الفاعلة ، وتحليل الأطر المرجعية ، وقد تكرر استخدام هذه الأدوات الثلاث- كلها أو بعضها - بصورة نمطية في الإجراءات المنهجية للدراسات التي استخدمت تحليل الخطاب ، مع اختلاف في مستوى وعمق التحليل بحسب جدية الباحث وموضوع بحثه وحجم عينة النصوص والرسائل الإعلامية التي اختارها ،ويمكن القول أن هذه الدراسات قد نقلت الأدوات الثلاث عن أطروحة مارلين نصر حول تحليل الخطاب الناصري(نصر , ١٩٨٣) بدون اطلاع أو معرفة بأسسها المعرفية والنظرية وارتباطها العميق بالدراسات اللغوية واللغويات النقدية والحجاجية التي اعتمدت عليها ،ثم قام شومان وهشام عطية بتطوير وتوضيح إجراءات مسار البرهنة ، بينما نقلت بقية الدراسات عنهما وعن مارلين نصر بدون تطوير أو تأصيل نظري ، خاصة فيما يختص بتحليل القوي الفاعلة وتحليل الأطر المرجعية .

- علي عكس ما هو سائد في دراسات تحليل الخطاب الإعلامي في العالم استخدمت الدراسات العربية عينات كبيرة ومتنوعة من النصوص الصحفية الأمر الذي يفسر حجمها الكبير حتى أن

بعضها تجاوز الألف صفحة ، ومع ذلك لم تقدم تحليـــلا معمقـــا ، وعلي سبيل المثال استخدم شومان ويونـــس كميـــة هائلـــة مـــن النصوص الصحفية عبر عشرات من السنين ، وشملت عدة صحف , بل وأحيانا عشرات الصحف والمجلات مما أضعف من مستوي التحليل ونوعيته ، وحال بينه وبين التعمق في فهم وتحليل الخطـــاب (شومان ,١٩٩٠ , – يونس , ٢٠٠٠) . أما دراسة محمد حسام التي غطت ثلاثة أشـــهر فقـــط (اســـماعيل , ٢٠٠١) ، وكذلـــك الدراسات التي اقتصرت علي سنة واحـــدة (خليـــل ,١٩٨٩)، أو سنتين (محمد, ١٩٩٥) ، أو أقل من ست إلى سبع سنوات (قنديـــل ،٢٠٠٢– الباز, ٢٠٠٣)، فقد اعتمدت علي عينـــات كبـــيرة مـــن الصحف ، وبالتالي لم تنج من السطحية في التحليل أو التشتت أحيانًا ، وإن كانت أفضل حالاً من دراستي شومان ويونس ، حيث توصل أغلبها إلى نتائج مهمة ساعدت على سبر أغوار الخطاب الصحفي وفهم آلياته وعلاقاته بسياقه التاريخي وفضائه المجتمعي .

- جمعت خمس دراسات من إجمالي عينة التحليل بين تحليل الخطـــاب وبين تحليل المضمون الكمي التقليدي بطريقة تعســـفية وشـــكلية ، وبدون إدراك للتناقض النظري والمعرفي بيـــن تحليـــل الخطـــاب والتحليل الكمي ، ومن ثم قدمت مبررات نظرية أو منهجية ضعيفة وغير مفهومة لهذا الجمع التعسفي ، مما قاد إلى نتائج متناقضـــة أو غير مقنعة ، ولعل دراسة شومان تكشف عن هذا الخلـــط فقـــد قـــام بإحصاء عدد الأطروحات والبراهين المستخدمة واتخذ من أكثرهـــا تكررًا معيارًا لتقدير أهميتها وتأثيرها داخل بنية الخطـــاب ، وهـــو

إجراء لا يتفق مع المنطلقات والأسس النظرية والمعرفيـــة لتحليـل الخطاب ، كما أن خليل مزج وبشكل فيه قدر مـن الاجتهـاد بيـن التحليل الكمي والكيفي ، حيث أشار في أطروحته للماجســتير إلـى استخدامه لـ "أسلوبي التحليل الكمي والكيفي وذلك اتساقاً مع طبيعة مشكلة وأهداف الدراسة "(خليل ،١٩٨٩،ص٣٥)، أما في أطروحته للدكتوراه فقد أعلن التزامه بأسلوبي التحليل الكمي وبخاصـــة فيمـا يتعلق بالأسلوب الصحفي والتحليل الكيفي وبخاصـــة فيمـا يتعلـق بالدلالة الصحفية "(خليل، ١٩٩٣،ص٣)

وبعيدا عن هذا المزج يعرف محمد حسام تحليل الخطاب ويستخدمه بوصفه مدخل تحليل كمي – كيفي (إسماعيل،٢٠٠١)، أما قنديل فقـــد حاول استخدام تحليل المضمون بطريقة كيفية مبتكرة تهدف إلى" تنظيـــم المادة الأولية للكتلة التحريرية ، وقولبتها ضمن فئات مضمونيـــة يمكـن الإفادة من دلالاتها ومؤشراتها" (قنديل ، ٢٠٠٢ ،ص٣٣)

- ارتباطًا بالملاحظة السابقة يمكن القول بأن الدراسات العربية في مجال تحليل الخطاب قد شغلت نفسها بقضية التحليل الكمي أم الكيفي التي تجاوزتها أغلب مدارس تحليل الخطاب الأوربية ، ثم حاولت أن تأخذ موقفًا وسطيًا يمزج بين الأساليب الكمية والكيفية في التحليل ، تحت دعوي أن طبيعة البحث وأهدافه يفرض نوعية التحليل والأســـاليب المستخدمة ، وهذه الدعوة ظهرت بوضوح فـــي دراســات خليـل وشومان وهشام وآخرين ، لكن هذه الدعوى لم تؤصل نظريًا وظلت قاصرة ومحصورة في استخدام التحليل الأسلوبي والدلالي ، و مسار

البرهنة ، وتحليل القوي الفاعلة ، وتحليل الأطر المرجعيـــة ، ولـم تتعرف علي مناهج وأدوات أخرى في التحليل ، من هنا لم تطـــور بشكل حقيقي وجاد من أدواتها للدمج أو التكامل بين التحليل الكمـــي والكيفي .

الخاتمة :-

يستخدم مفهوم الخطاب في مجالات بحثية متنوعة وتخصصات متعددة في إطار الآداب والعلوم الاجتماعية ، وقد ارتبطت نشأته بحقل اللغويات ثم تطور مع ظهور عدة نظريات ومناهج في تحليل الخطاب ، ورغم هذا التوسع والانتشار في استخدام الخطاب وتحليل الخطاب فإنه لا يوجد اتفاق حول المفهوم والإطار النظري والمنهجي لتحليل الخطاب ، بل ظهرت عدة مدارس يوجد بينها نقاط اتفاق واختلاف عديدة ، ولعل أهم نقاط الاتفاق هي التوجه النقدي في تحليل الخطاب ، والاتجاه للتقريب بين مدارس تحليل الخطاب ، حيث سقطت أو تكاد الحدود التقليدية بينها ، خاصة بعد أن سعي الكثير من الباحثين للدمج والتأليف بين مفاهيم وطرق لتحليل الخطاب تنتمي لمدارس متعددة من جهة ، وبعد أن ظهر اتفاق واسع علي أنه لا توجد طريقة واحدة أو إجراءات منهجية متفق عليها لتحليل الخطاب من جهة ثانية .

واهتمت مدارس تحليل الخطاب بتحليل الخطاب الإعلامي وفي مقدمتها اللغويات واللغويات النقدية ،والسميولوجيا ، ومدرسة التحليل الثقافي ، ومدرسة التحليل النقدي للخطاب ، لكن الأعمال التحليلية للخطاب الإعلامي التي قدمتها هذه المدارس ما تزال قليلة نسبيا من حيث الكم والنوع ،ومع ذلك أصبحت منهجية تحليل الخطاب الإعلامي تقليداً علمياً معترفا به ، ويكتسب كل يوم أرضاً جديدة حيث يتيح إمكانية التحليل النقدي العميق والمتعدد المستويات (الكلي والجزئي-العام والخاص-الدولي والمحلي-المجتمعي والإعلامي - ظروف إنتاج الخطاب الإعلامي

وآليات استقباله واستهلاكه) .

ولاشك أن اهتمامات التحليل النقدي للخطاب الإعلامي ومجالات عمله تمكنه من تجاوز جوانب القصور في التحليل الكمي التقليدي لمضمون النصوص الإعلامية الذي نشأ في إطار التقاليد البحثية الوضعية والسلوكية – تبنته وروجت له لسنوات طويلة المدرسة الأمريكية الإعلامية – وأدى إلى تفتيت النص وعزله عن سياقه التاريخي والمجتمعي وإهمال المعاني غير المباشرة أو الضمنية التي يحملها النص .

وبالنسبة للدراسات الإعلامية العربية كما تعكسها حالة مصر – التي تعتبر من أوائل الدول العربية التي أنشأت معهداً للصحافة ثم كلية مستقلة للإعلام عام ١٩٧٤ – فإنها لم تعرف أو تمارس منهجية تحليل الخطاب إلا في نهاية الثمانينات ومطلع التسعينات ، حيث سادت منهجية تحليل المضمون الكمي التقليدي وأصبح جزءاً من تقاليد المؤسسة العلمية في مصر ، مما أخر ظهور واستخدام منهجية تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية ، وخاصة أنها اعتبرت خروجاً عن التقاليد العلمية السائدة ومحاولة لتجريب منهجية غامضة غير محددة نظريًا ومنهجيًا ولا يوجد حولها اتفاق ، لكن بفضل تشجيع عدد من أساتذة الإعلام وجهود عدد محدود من الباحثين الشبان ظهر عدد من أطروحات الماجستير والدكتوراه تبنت منهجية تحليل الخطاب ، ورغم قلة عدد دراسات تحليل الخطاب الإعلامي في مصر إلا أنها نجحت في كسب مشروعية الوجود ، وباتت تقليداً معترفاً به حيث أصبح من المقبول في ضوء التقاليد العلمية المعمول بها في الجامعات المصرية والمجلات العلمية الدورية إجراء

ونشر دراسات تحليل الخطاب الإعلامي ، كما أن هناك أعدادا متزايدة من أطروحات الماجستير والدكتوراه قيد الإعـداد تتبنـي منهجيـة تحليـل الخطاب الإعلامي المطبوع والمسموع والمرئي .

وتعتمد الدراسة الحالية علي عينة من هـذه الأطروحـات التـي نوقشت في كلية الإعلام لإلقاء الضوء علي وضعية الدراسات العربيـة في مجال تحليل الخطاب الإعلامي ، حيث خلصت الدراسة إلى اقتصـار تلك الأطروحات علي تحليل الخطاب الصحفي فقط ،حيـث لـم تظهـر دراسات في تحليل الخطاب المسموع والمرئي فضلا عن خطاب الإعلان (الإشهار)، علي أن دراسات تحليل الخطاب الصحفي اختارت موضوعات مهمة ، اتسمت بالتعدد والتنوع والانشغال بقضايا معـاصرة ومطروحـة علي جدول أعمال المدارس الأوربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي.

لكن يمكن القول بأن دراسات تحليل الخطاب الصحفي التي ظهرت في مصر قد نقلت بعض المفاهيم والأطر النظرية عن بعـض مـدارس تحليل الخطاب الأوربية ، بينما لم تتعرف علي مدارس أخرى مهمة مثل المدرسة الألمانية ومساهمات باحثي الدول الاسكندنافية ، كما لم تستفد من الأعمال التأسيسية لميشيل فوكو ربما لأنه لم يكتب بشكل مباشر عن مجال الإعلام والخطاب الإعلامي ،الأمر الذي أدى إلى ضعـف ومحدوديـة الأطر النظرية والمنهجية التي اعتمدت عليها الدراسات العربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي ،وافتقارها إلى العمق النظري والمعرفي ، وقـد أدى هذا الضعف إلى الوقوع في مشكلات مفاهيمية و منهجية وإجرائيـة مثل غموض مفهوم الخطاب، واعتماد بعض الدراسات علـي منهجيـة

الدراسات اللغوية فقط ،ووقوع دراسات أخرى في نوع من الخلط الغريب بين تحليل الخطاب وتحليل المضمون الكمي التقليدي ، واستخدام النوعين معًا وبطريقة تعسفية وغير مبررة في بعض الدراسات ، بالإضافة إلى استخدام عينات كبيرة من النصوص الصحفية تغطي سنوات طويلة ، مما أثقل كاهل تلك الدراسات وأسفر أحيانا عن أنماط من التحليل السطحي .

وربما تكمن مشكلة اختيار الدراسات العربية لعينات كبيرة من النصوص إلى التأثر بالمنهجية الوضعية السلوكية التي تفترض المساواة بين أهمية النصوص وإمكانية اختيار عينات ممثلة ،وهو ما ترفضه أغلب مدارس تحليل الخطاب حيث أن النصوص لا تتساوي في الأهمية ، كما أن هناك نصوص مركزية أو حاكمة يطلق عليها بيجر العقد الخطابية ، فضلا عن ضرورة فهم واستيعاب التناص والتشابك والتكرار بين النصوص والذي قد لا يضيف جديدًا لتحليل الخطاب ، لذلك فمن المهم تحديد العقد والتشكيلات الخطابية والممارسات غير الخطابية والتركيز عليها في التحليل بغض النظر عن كم النصوص التي ستخضع للتحليل ، ولاشك أن اختيار النصوص المركزية التي تسجل الخطاب وتحولاته هي إشكالية نظرية وإجرائية يدور حولها نقاش واسع ، من الضروري أن يتابعه الباحثون العرب في مجال تحليل الخطاب ، ويشاركون فيه نظريًا وعمليًا .

أيضا ربما يكون من المهم ليس فقط الانفتاح والتواصل مع مدارس تحليل الخطاب الأوربية ، بل الانفتاح والتواصل مع الدراسات العربية التي أجريت في المغرب العربي في مجال تحليل الخطاب عامة والخطاب

الإعلامي خاصة ، والتي يبدو أنها تناولت موضوعات بالغة الأهميـــة ، كما تابعت بوعي وعن قرب مدارس تحليل الخطاب خاصـــة المدرســة الفرنسية، لكن العقبة التي تحول دون تعميم الاستفادة من هذه الدراســات علي النطاق العربي تكمن في أن معظمها كتب باللغة الفرنسية ، من هنا يقترح الباحث ترجمة ونشر بعض من هذه الدراسات تدعيمـــا للتواصـــل والحوار العربي – العربي في مجال تحليل الخطاب الإعلامي .

المراجـــع :-

1- Tompkins,Phillip,k..principles of rigor for assessing evidence in qualitative , communication research, western journal of communication,1994.

2- Roy Langer, the concept of discourse analysis of complex communication events, http://ep.lib.cbs.dk.1998, (Accessed 12-9-2004).

٣- عواطف عبد الرحمن ،نادية سالم ، ليلـــي عبـد المجيـد ،تحليـل المضمون في الدراسات الإعلاميـــة ، القـاهرة ، العربـي للنشـر والتوزيع ،١٩٨٣ .

4- PartriciaA.Curtin,Textual analysis in mass communitionstudies:Theory and Methodology, 1996,http:// list.msu.edu (Accessed 19-7-2004).

5- Kevin Howley, Textually mapping newpaper discourse,http://list.msu.edu.1999 (Accessed 2-10-2004).

6- Andrew Tolson ,mediations , text and discourse in,1996. media studies, Arnold,London

7- James W.Tankard,reappraising discourse analysis and Aplications for news studies, 1994, http://list.msu.edu. (Accessed 1-10-2004).

8- Norman fairclough,Media Discourse,London, Edward Arnold ,1995.

9- Ellen Barton,Resources for discourse analysis in compesition studies, V36,i4,2002 .

١٠- صلاح فضل ، علم الأسلوب ،مبادئه وإجراءاته ،القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٥.

11- Kress,Gunter and Hodge, Roert,Language as ideology,London, Routledge and Kegan Paul,1979.

12- Coates Jennifer ,ed,Language and Gender, A reader , Maiden,MA,Blackwell.1988.

13- Alastair Pennycook , critical applied linguistics in A Davies and C.Elder,eds,Handbook of applied linguistics Oxford:Blackwell,2002.

14- Analysis, Brett Delinger,Critical Discourse www.cnncritial.tripod.com, 1995 .

١٥- الزواوي بغورة،مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ،٢٠٠٠ .

١٦ - السيد النفادي ،السيميوطيقا علاقتها بالفلسفة والعلم عند كارناب ،الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عالم الفكر ، يوليو – سبتمبر ٢٠٠٢ .

١٧ - محمد غرافي ، قراءة في السميولوجيا البصرية ، المرجع السابق ، ص ص ٢٢١-٢٥٠.

١٨- علي بن شويل القرني ، الخطاب الإعلامي العربي ،المجلة

المصرية لبحوث الإعلام ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٧.

١٩- جوردن مارشال, موسوعة علم الاجتماع ،المجلد الأول ، ترجمة محمد محمود الجوهري وآخرين ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠ .

20- Roger Bromley ,Cultural Studies in Britain". In A Cultural Studies Reader. History, Theory, Practice. ed. Jessica Munns and Gita Rajan. London and New York: Longman, 1995.

21- Hall, Stuart: Culture, the Media and the "Ideological - Effect'. In James Curran, Michael Gurevitch & Janet Woollacott (Eds.): Mass Communication and Society. London: Edward Arnold.1997.

22- TeunA.van Dijk,Critical Discourse A nalysis ,1998, www, hum.uva.nl/teun/cda.htm, (Accessed 12-1-2005).

23- Fairclough, Discoure,social theory and social research:the discourse of welfare, journal of sociolingustics,4,2000.

24- Roy langor, the concept of discourse analysis of complex communication events, 1998 , http://ep.lib.cbs.dk.

25- Ruth Wodak,critical discourse analysis at the end of the 20th century.in:Research on Language and Social interaction,32,1999.

٢٦- بيتر بروكر ، الحداثة وما بعد الحداثة ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، أبو ظبي ، منشورات المجمع الثقافي ، ١٩٩٥ .

٢٧- مارلين نصر ، التصور القومي في فكر جمال عبد الناصر ١٩٥٢-١٩٧٠: دراسة في عم المفردات والدلالة ، القاهرة ، دار المستقبل العربي ،١٩٨٣ .

٢٨ - محمود إبراهيم خليل ، إقرائية الخبر الصحفي اللغوية : بالتطبيق علي الخبر الصحفي في جرائد الأهرام والجمهورية خلال عام ١٩٧٨،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة، ١٩٨٩.

٢٩- محمد علي شومان ، تطور فكرة القومية العربية في الصحافة المصرية (١٩٢٤- ١٩٥٢)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة،١٩٩٠.

٣٠- محمود إبراهيم خليل ، التطور الأسلوبي والدلالي للغة الصحافة اليومية في الفترة من ١٩٦٠-١٩٨٠، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ،١٩٩٣.

٣١- هشام عطية عبد المقصود محمد ، تأثير السياسة الخارجية للدولة في المعالجة الصحفية للشئون الدولية ، دراسة مقارنة للصحافة المصرية خلال الفترة من ١٩٩٠-١٩٩٢، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ،١٩٩٥.

٣٢ - هشام عطية عبد المقصود محمد ، علاقة النخب السياسية المصرية

بالصحافة وتأثيرها في أنماط الأداء الصحفي في التسعينات ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٨.

٣٣- محمد احمد يونس ، الخطاب الديني في الصحف المصرية خلال الفترة ما بين عامي ١٨٨٢-١٩١٤ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام جامعة القاهرة ،٢٠٠٠.

٣٤- محمد حسام الدين إسماعيل ، التغطية الصحفية الغربية لشئون العالم الإسلامي خلال عقد التسعينات ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ،٢٠٠١.

٣٥- وائل محمد عارف قنديل ، صورة مصر في الخطاب الصحفي لمراسلي الصحف ووكالات الأنباء العربية العاملة في مصر خلال الفترة من ١٩٩٠-١٩٩٦، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام جامعة القاهرة ،٢٠٠٢ .

٣٦- محمد عبد الحفيظ الباز ، موقف الصحافة المصرية من الثورة العرابية في الفترة من ١٨٧٧-١٨٨٢، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٣.

٣٧ - احمد يوسف ، السيموزيس وتخوم النقد ، ورقة غير منشورة ، ٢٠٠٤.

٣٨- الزواوي بغورة ، تحليل الخطاب من الوجهتين الوصفية والتاريخية، ورقة غير منشوره ، ٢٠٠٤.